

ا مهورية ا زائرية الد فراطية الشعبية
وزارة التعليم العا و البحث العلمي
ا درسة العليا للأساتذة
الآداب و العلوم الإنسانية
نيابة المديرية للبحث العلمي

**التنظ البلاغي لدى عبد الفاهر ا رجا
من خلال دلائل الإعجاز
ا ذف - ا وزجا-**

مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير في تخصص اللسانيات العربية

أعضاء اللجنة ا منحنة

د / مولود بغورة رئيسا
د / مسعود عامر عضوا مقررا
د / نادية تيجال عضوا مناقشا
د / بركاهم علوي عضوا مناقشا

إعداد الطالب

س - ال - م رز - ان

السنة الجامعية : ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المديرية للدراسات و البحث العلمي
شعبة اللسانيات العربية

المدرسة العليا للأساتذة
للآداب و العلوم الإنسانية بوزريعة

التنظير البلاغي لدى عبد القاهر
الجرجاني في دلائل الإعجاز
- الحذف - أنموذجاً

رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العربية

إعداد الطالب :

سالم رنان

اعضاء اللجنة الممتحنة

رئيسا	د/ بغورة مولود
عضوا مقررا	د/ مسعود عامر
عضوا مناقشا	د/ نادية تيحال
عضوا مناقشا	د/ بركاهم علوي

السنة الجامعية : ٢٠٠٦/٢٠٠٧

الإهداء

- إلى روح والدي الذي غرس في قلبي حب العلم و العمل.

- إلى أُمي العزيزة الغالية (رقية).

- إلى روح الإمام عبد القاهر الجرجاني

عرفانا لما قدمه من خدمة جليلة للغة القرآن الكريم.

- إلى كل غيور على لغة الضاد.

- إلى كل من اتخذ العلم و المعرفة نبراسا في حياته

أهدى ثمره هذا العمل.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

تعد اللغة مظهرا من مظاهر الحياة العقلية و الاجتماعية للأمة لكونها وسيلة من وسائل الاتصال و التبليغ و التعبير عن أغراض الأفراد و مشاعرهم و أفكارهم، إذ يعرفها ابن جني: " هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ".

و اللغة تمتاز بمجموعة من الخصائص أشهرها الحذف الذي يرتبط ارتباطا كبيرا بالأساليب البلاغية، لذا تعرض علماء اللغة العربية من لغويين و بلاغيين ونحاة له، و من أشهر البلاغيين الذين تحدثوا عن الحذف الشيخ الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، و نظرا لأهمية الموضوع و رغم وجود جهود عالجت هذه القضية بإسهاب و ألفيناه في ثنايا المصنفات القديمة في النحو و البلاغة و ذلك يظهر في تناولهم لقضايا لغوية مختلفة – وهي في احسن الاحوال - لا تشكل منهجا قويا يفي بغرض الموضوع من الناحية البلاغية و من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي اخترتها تحت هذا العنوان: >التنظير البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني من خلال دلائل الإعجاز - الحذف - أنموذجا<، و نستدل من العنوان على جملة من العناصر أهمها:

- التنظير البلاغي: الأمر الذي لا شك فيه أن أي علم لم يولد مؤسسا قائما بحد ذاته، بل كانت هناك إرهاصات أولية و ملاحظات متناثرة سبقت التنظير البلاغي ثم تطورت لتصبح نظريات ثم قعدت القواعد .

- يعد مؤلف عبد القاهر الجرجاني - الذي اشتهر بنظرية النظم في كتابه " دلائل الإعجاز "، أشهر المؤلفات في حقل البلاغة و النقد.

- ظاهرة الحذف ظاهرة منتشرة في كلام العرب تحمل أسراراً عظيمة، إلا أننا نجد أن الجرجاني له رؤية خاصة للظاهرة، و ربطها بالنظرية المسماة بنظرية النظم، و لمعرفة أهمية الموضوع يحسن بنا أن نطرح جملة من التساؤلات أهمها :

- إلى أي مدى يمكن اعتبار عبد القاهر منظرا من منظري علم البلاغة ؟
- على أي أساس تم اختيار ظاهرة "الحذف" للدراسة على غرار الظواهر الأخرى ؟
- ما الأمر الذي تميز به عبد القاهر الجرجاني في ظاهرة الحذف من باقي البلاغيين؟

- ما طبيعة المعيار المعتمد من قبل الجرجاني في حديثه لظاهرة الحذف ؟

- ما هي أهم اسهامات عبد القاهر في إرساء دعائم علم البلاغة و لا سيما علم المعاني ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اتبعت عدة مناهج : وهذا حسب ما اقتضت الدراسة فكان المنهج التاريخي مناسباً للحديث عن البيئة البلاغية قبل عهد عبد القاهر ضمن المدخل الذي تصدر البحث، أما المنهج الاستقرائي الوصفي فكان المهيمن على الفصل الأول و الثاني و كان من الطبيعي أن تستخدم المنهج التحليلي في الفصل الأخير لتحليل الظاهرة وفق ما ذكرها الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

و ترجع دوافع اختياري لهذا الموضوع، إلى عوامل ذاتية و عوامل موضوعية، فمن الدوافع الذاتية تكمن في رغبتني الكبيرة في التطرق للمباحث البلاغية ولاسيما في علم المعاني، و مدى إسهامات الإمام الجرجاني في البحث البلاغي في مصنفه الموسوم بدلائل الإعجاز، فطريقة عبد القاهر في تحليله و بحثه في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم التي أفاض فيها كثيراً، هي من العوامل الموضوعية التي دفعتني إلى تناوله كبحث جامعي أكاديمي، فضلاً عن قلة الدراسات و الأبحاث في حقل البلاغة و لا سيما في باب الحذف كظاهرة لغوية ، اعتمد عليها عبد القاهر في مؤلفه مع عناصر أخرى كالقديم والتأخير والذكر والتعريف والتذكير ليوضح معنى "بلاغة النظم" وهي الفكرة التي بني عليها كتابه دلائل الإعجاز .

و لعل من الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا قلة الدراسات و المراجع التي تناولت عبد القاهر من خلال دلائله و خاصة في باب " الحذف " :

- عدم وضوح الرؤية بشكل قوي لدارس هذا المبحث و صعوبة في استقرائها، و تحليلها لاستغلاق هذه النصوص على كثير من الباحثين المعاصرين .

و كانت خطة بحثي على النحو التالي:

مدخل: و تناولت فيه حياة عبد القاهر باختصار شديد و تطرقنا كذلك فيه إلى البيئة البلاغية قبل عهد عبد القاهر.

في الفصل الأول: بدأنا بالحديث عن مصنفه " دلائل الإعجاز " حيث عرفت بالكتاب و طبعه و دوافع تأليفه منها ظهور فكرة الإعجاز القرآني، و مراحل تاريخ الإعجاز و تناولت كذلك أهم آرائه و أفكاره من خلال " الدلائل " و أشدت بنظرية

النظم و مدى تأثيرها على أفكاره البلاغية و النحوية و ختمت الفصل الأول بأثر الكتاب في الدرس البلاغي قديما و حديثا.

وكان الفصل الثاني: ظاهرة الحذف في اللغة العربية

و قد خصصته للحديث عن ظاهرة الحذف من خلال:

١- تعريف الحذف لغة و اصطلاحا.

٢- أسباب الحذف و دواعيه.

٣- شروط الحذف.

٤- فوائد الحذف البلاغية.

٥- أقسام الحذف.

وتوزع الفصل الثالث: إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الحذف وجه من أوجه النظم

المبحث الثاني: حذف المبتدأ و أغراضه البلاغية

المبحث الثالث: حذف المفعول به و أقسامه حسب غرض المتكلم

ويندرج تحته

١- حذف غير مقصود

٢- حذف مقصود: أ- حذف جلي

ب- حذف خفي

٣- حذف مفعول مقصود

٤- الإضمار على شريطة التفسير

٥- حذف مفعول المشيئة

و ختمت الدراسة بخاتمة تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة

المتواضعة، فضلا عن بعض المقترحات التي أراها ضرورية لتطوير دراسة مثل

هذه الأنواع من الدراسات التي تخدم البلاغة و اللغة العربية.

و بعد الخاتمة جاءت الفهارس العامة: - فهرس الآيات القرآنية

- فهرس الأبيات الشعرية

- فهرس المصادر و المراجع

- الفهرس العام للموضوعات

و تتنوع مصادر بحثنا و مراجعه تنوع فصوله: منها ما يتصل بالنحو و منها ما يتصل بالبلاغة و منها ما يتصل بعلوم القرآن الكريم و التفسير.

و كان كتاب " دلائل الإعجاز " للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أوفى المصادر، و التي خصصت فصلا لموضوع الحذف و تبقى مصادر أخرى و مراجع تناولت الموضوع بشكل أو بآخر أثبتناها في موضعها.

و أخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور مسعود عامر لقبوله الإشراف على هذا البحث، و رعايته له منذ أن كان خطوطا عريضة إلى أن استوى على الشكل الذي هو عليه، فقوم ما كان معوجا منه، و عدل ما كان مائلا فيه، بنصائحه السديدة، و إشاراتة النيرة، كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر و عظيم التقدير للجنة الممتحنة لما تجشمت من عناء قراءة البحث و تقويم اعوجاجه فلهم منا جزيل الشكر.

و كل ما أرجوه أن أكون قد وفقت إلى ما أردت من دراسة للحذف و حسبي أنني أخلصت النية و بذلت غاية ما أستطيع و من الله العون و به التوفيق.

المـــــدخـــــل

الإرهاق $\Theta_{D\check{Z}}$ والمؤح $\Theta_{\check{O}}$ البغية
قـــــبـــــل الإـــــمـــــام عـــــبـــــد
القـــــاهـــــر الجـــــرجـــــانـــــي

الحمد لله الذي اختار اللسان العربي ليكون أداة التوصيل، و وسيلة الإبانة،
ووعاء التفكير للرسالة الخاتمة الخالدة خلود الحياة، و بعد فقد أدرك اللغويون
والبلاغيون القدامى أهمية دراسة علوم القرآن، و الغوص في كنه اللغة كونها لغة
التنزيل المبين، لغة الخالق الأعظم، كما أدركوا أنها ليست كلغة العرب أهل اللسن
والفصاحة، و أن لها خصائص عالية أكسبها الإعجاز، الذي تحدى بها المولى البشر
بأنهم لن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، قال تعالى: " قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتْ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا " (١).

و عكف علماء اللغة على التنزيل دراسة و تفسيراً مبيينين أفانين كثيرة من
وجوه القول، فكان ذلك مؤشراً أن القرآن قد أقام درس العربية على أنماط جديدة لم
يهد إليها العرب قبل ظهور أئمة اللغة و الأدب، الذين تأدبوا بآداب القرآن الكريم
ومن ثمة أدى بهم الدرس القرآني إلى جملة من حقول المعرفة، و ليس علوم اللغة
العربية إلى شيئاً من هذا الفيض العميم الذي تم للدارسين المسلمين، و من علوم
العربية هذه علم البلاغة.

و صرح أكثر من واحد من علماء هذا الفن أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٢)
صاحب نظرية النظم هو واضع هذا الفن و مؤسسه يقول يحيى بن حمزة الحسيني:
"و أول من أسس في هذا الفن قواعده و أوضح براهينه، و أظهر فوائده، و رتب
أفانيه الشيخ العالم النحرير، علم المحققين عبد القاهر الجرجاني، فلقد فك قيد

١- الإسراء: ٨٨

٢- هو أبو بكر عبد القادر الجرجاني، الأشعري الشافعي، نحوي بياني، متكلم فقيه مفسر توفي بجرجان ٤٧١ هـ و قيل ٤٧٤ هـ، و ذكر
ياقوت الحموي جرجان فقال: "إنها مدينة مشهورة عظيمة تقع بين طبرستان و خراسان، و قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب
ابن أبي صفرة، و قد خرج منها خلق من الأدباء و العلماء و الفقهاء و المحدثين" معجم البلدان (جرجان)، من تصانيفه الكثيرة: شرح
الإيضاح لأبي علي الفارسي في نحو ٣٠ مجلداً، و سماه المغني ثم لخصه في مجلد سماه المقاصد، إعجاز القرآن، العوامل المائة، تفسير
الفاخرة، العمدة في التصريف و له شعر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة: ٣١٠/٥.

الغرائب بالتقييد، و هد من سور المشكلات بالتسوير المشيد، و فتح أزهاره من أكمامها، و فتق أزواره بعد استغلاقتها و استبهاهما^(١).

الإرهاصات والملاحظات التي سبقت الإمام عبد القاهر الجرجاني:

الأمر الذي لا شك فيه أن كل علم قبل أن يستقر و يصبح علما قائما بذاته مستقلا عن غيره تسبقه إرهاصات و ملاحظات منتشرة هنا و هناك و مبعثرة غير منتظمة، و علم البلاغة من أشهر العلوم التي مرت بمراحل إلى أن أصبح علما لغويا مستقلا عن العلوم اللغوية الأخرى.

١- **العصر الجاهلي:** يتبادر إلى أذهاننا في هذا العصر بلوغ العرب مرتبة عالية جدا في قول الشعر و الخطابة، و هذا الأمر أقر به التنزيل، كما أن معجزة خاتم الأنبياء -صلى الله عليه و سلم- كانت من جنس ما برعوا فيه من البيان و البلاغة والفصاحة، ففي هذا العصر كانت جملة من الملاحظات و الأحكام أطلقها الشعراء و الخطباء الذين أحتكم إليهم في الأسواق و النوادي الشعرية، و من أشهر ذلك ما ترويه كتب النقد و البلاغة العربية أن "العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، و ما ردوه منها كان مردودا"^(٢)، و يبدو أن من الشعراء النابهين من كان يقوم في هذا السوق مقام القاضي الذي لا تدفع حكومته، ففي أخبار الشاعر النابغة الذبياني أن الشعراء كانوا يحتكمون إليه، فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق و كان في أثناء ذلك يبدي بعض الملاحظات على معاني الشعراء و أساليبهم، و يقال أنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت و فضل الخنساء على بنات جنسها، و ثار حسان عليه، و قال له: أنا و الله أشعر منك و منها فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال جئت أقول:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطن من نجدة دما

قال له النابغة: "إنك لشاعر لولا أنك قلت عدد جفانك" و في رواية أخرى: "قال له: إنك قلت الجففات فقلت العدد، و لو قلت الجفان لكان أكثر، و قلت يلمعن بالضحى،

^١ - يحيى بن حمزة الحسيني: الطراز في علوم حقائق الإعجاز عن أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني: مقدمة المحقق-رشيد رضا- ط

^٢ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١١.

ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، و قلت
يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل، و لو قلت يجرين لكان أكثر، لانصباب
الدم فقام حسان منكسرا منقطعا^(١).

ففي هذه المحاكمة ألاحظ أن الشاعر النابغة أبدى ملاحظاته البلاغية على
شعر حسان بن ثابت في المعنى و علاقته باللفظ، فالشعراء كانوا يقفون عند اختيار
الألفاظ المناسبة للمعاني المراد التعبير عنها، و هناك مواقف كثيرة كانت تبرز فيها
الملاحظات، و تعد الأرضية الأولى التي بني عليها علم البلاغة.

٢- صدر الإسلام: إن أهم ما يميز هذه المرحلة نزول القرآن الكريم آية معجزة مقدسة
خالدة، فالرسول -صلى الله عليه و سلم- كان أفصح العرب و أبلغهم إذ يقول الجاحظ
(ت ٢٥٥ هـ) عنه: "إنه لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، و لم يتكلم بكلام قد حف
بالعصمة، و هذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، و غشاه بالقبول و جمع له بين
المهابة و الحلاوة، و بين حسن الإفهام و قلة عدم الكلام، و مع استغنائه عن إعادته،
و قلة حاجة السامع إلى معاودته، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم مخرجا، و لا
أفصح معناه و لا أبين في فحواه من كلامه صلى الله عليه و سلم".^(٢)

فمن خلال هذه الإشارة بفصاحة الرسول عليه الصلاة و السلام و بلاغته التي
أدلى بها إمام البلاغيين الجاحظ أستنتج أن البلاغة عند العلماء المختصين بها هي
الإيجاز مع الإفهام و عدم التكرار مع الإفادة، فالإيجاز في اللفظ و عدم تكراره مع
أداء المعنى في أوضح صورة، هو جوهر البلاغة النبوية التي تتسم كذلك بجزالة
اللفظ و سهولته و بساطة الأسلوب و ألفته.

٣- العصر الأموي: فتحوّلت مظاهر الحياة بمختلف ألوانها و لاسيما الحياة الأدبية
التي اتسمت بشيوع الخطابة على مختلف الأصعدة، و بدأت تظهر جليا بواخر علم
البلاغة، و ظهرت المعالم الحقيقية لها كظهور فكرة الإيجاز.

^١ - الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني: ٣٤٠/٩ عن شوقي ضيف البلاغة تطور و تاريخ: ١١

^٢ - الجاحظ: البيان و التبيين: تح: درويش جويدي: ٢٤٥/٢.

إذ أورد الجاحظ في "بيانہ" «أن معاوية سأل صحرار العبدی^(١) الذي راعه بخطابته عن البلاغة، فسأله معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، فقال له معاوية: و ما الإيجاز؟ قال صحرار: أن تجيب فلا تبطئ و تقول فلا تخطئ»^(٢).
و قد ساق العلماء عدة ملاحظات وأحكام كانت متناثرة، و أصبحت بعد ذلك قواعد منظمة لعلم البلاغة، و مما أورده الجاحظ عن البلاغة في العصر الأموي قول شبيب بن شيبه: "الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء و بمدح صاحبه و أنا موكل بتفضيل جودة القطع و بمدح صاحبه، و حظ جودة القافية، و إن كانت كلمة واحدة، أرفع من حظ سائر البيت"^(٣).

فهذا الوعظ أبدى رأيہ إنه يرى أن جودة الشعر لا تكمن في رأسه أو أوله و إنما تكمن في أواخر البيت كالقافية، فربما كلمة واحدة تعطي القصيدة أو البيت قدرا أو معنى واضحا، فهذا الأمر يعود إلى دلالة الكلمة القوية في رفع المعنى، و أهم ما يميز هذا العصر هو نشوب صراعات و مشادة بين الشعراء و الخطباء و قامت لذلك أسواق في الجاهلية مثل سوق عكاظ وفي الإسلام سوق المربد، و من أشهر الشعراء الذين تنازعوا في قول الشعر الفرزدق و جرير، و من أشهر المواقف التي احتدم فيها الجدل في المعاني و اختيار الصور و ما يناسبها من التراكيب و الألفاظ و قد وردت في "الأغاني" أن " ذا الرمة كان ينشد بسوق الكناسة بالكوفة إحدى قصائده فلما انتهى منها إلى قوله"

إذا غير النأي المحبين لم يكدرسيس الهوى من حب مية يبرح

صاح به ابن شبرم: أراه قد برح، و كأنه لم يعجبه التعبير بقوله "لم يكدر" فكف ذو الرمة ناقته بزمامه و جعل يتأخر بها و يفكر ثم عاد فأنشد:

إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح"^(٤)

فمن خلال هذه الملاحظات المختلفة نلمس أن أهم الصور و الأحكام البيانية سواء أكانت في الجاهلية أم في عصور الإسلام الأولى كانت هي الإرهاصات الأولى

^١ - صحرار بن عياش بن شراحيل العبدی من بني القيس: خطيب مفوه، صحابي.

^٢ - الجاحظ: البيان و التبيين: تح: درويش جويدي: ٦٨/١.

^٣ - المصدر نفسه: ٧٧/١.

^٤ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٧.

لظهور علم لغوي قائم على قواعد و قوانين متمثلا في علم البلاغة، و هذه الملاحظات لها بواعث كثيرة، "فقد تحضر العرب و استقروا في المدن و الأمصار، و أخذوا يتجادلون في جميع شؤونهم السياسية و العقيدية فكان هناك الخوارج و الشيعة و الأمويون و الزبيريون و المرجئة و الجبرية و القدرية و المعتزلة، و نما العقل نموا و اسعا فكان طبيعيا أن ينحو النظر في بلاغة الكلام و أن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان"^(١).

٤- **العصر العباسي:** اتسعت الملاحظات البلاغية في العصر العباسي بسبب تغير مظاهر الحياة و لاسيما العقلية و اللغوية و يعد العصر العباسي العصر التنظيري للبلاغة.

و يعد ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ) كاتب فذ خبر أساليب اللغة و مرن عليها مرانة دقيقة^(٢) و ذكر الرواة أنه سئل عن البلاغة و تفسيرها فقال^(٣): «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها من يكون في السكوت، و منها ما يكون في الاستماع، و منها ما يكون في الإشارة، و منها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون شعرا، و منها ما يكون سجعا و خطبا، و منها ما يكون رسائل، فعامية ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعنى، و الإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السماطين و في إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خلل، و الإطالة في غير إملال، و ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفته قافيته، فقل له: فإن مل المستمع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، و قمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، و أرضيت من يعرف حقوق الكلام لما فاتك من رضا الحاسد و العدو فإنه لا يرضيهما شيء، و أما الجاهل فلست منه و ليس منك، و رضى جميع الناس شيء لا تناله، و قد كان يقال: رضا الناس شيء لا ينال»، «فابن المقفع جعل البلاغة أقساما و أصنافا يطلب فيها الإيجاز»^(٤).

١- المرجع نفسه: ١٥.

٢- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٢٢.

٣- الجاحظ: البيان و التبيين: ٧٩/١.

٤- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٢١.

و ظهر كتاب للدواوين اعتنوا بالفصاحة و البلاغة في العصر العباسي، نوه بهم الجاحظ إذ قال: "أما أنا فلم أر قوما قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا و حشيا و لا ساقطا سوقيا"^(١) فهم ينتخبون ويختارون ألفاظهم و في التخلص إلى المعاني الطريفة، و لم تقل عنايتهم بالألفاظ عن عنايتهم بالمعاني.

المعتزلة: يذهب بعض الدارسين إلى أن المعتزلة هم الذين وضعوا أسس علم البلاغة لأنهم كانوا محتاجين إليها في الدعوة و إقامة الحجج، «فوضع بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) صحيفته الخالدة ثم جاد بعده الجاحظ و هو من هو في البلاغة وفنونها».^(٢)

و يرى الدكتور طه حسين أن البلاغة نشأت حين اشتدت الخصومة بين علماء الكلام، و إن الجاحظ المتكلم هو أول من اهتم بالبلاغة اهتماما جديا^(٣)، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فعده مؤسس البيان العربي^(٤)، و ربما كان النظام (ت ٢٢١ هـ) شيخ الجاحظ من أوائل الذين تحدثوا عن بعض موضوعات البلاغة و حددوا معانيها مثل الخبر و الطلب و قاسوها بمقياس الصدق و الكذب.^(٥)

و الجاحظ يسرد لنا في "البيان و التبیین" عددا كبيرا من المتكلمين الذين أسهموا بشكل كبير في البلاغة، و من أشهرهم عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) الذي عرف البلاغة بقوله: "تحبير اللفظ في حسن الإفهام".^(٦)

و نلاحظ في كتاب "البيان و التبیین" كثيرا من القضايا البلاغية، و من ذلك نجد الجاحظ يسوق تعريف البلاغة عند طائفة من الأمم فيقول: "قيل للفرسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، و قيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام، و قيل للرومي ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداة

^١ - الجاحظ: البيان و التبیین: ٩١/١.

^٢ - عبد القادر حسين: أثر النخاعة في البحث البلاغي: ٣١.

^٣ - المرجع نفسه: ٣١.

^٤ - المرجع نفسه: ٣١.

^٥ - المرجع نفسه: ٣١.

^٦ - الجاحظ: البيان و التبیین: ٧٨/١.

والغزارة يوم الإطالة، و قيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة و انتهاء الفرصة و حسن الإشارة".^(١)

و غرض المعتزلة من طلب معرفة آراء الأمم الأجنبية في البيان و البلاغة أنهم كانوا يريدون أن يوازنوا بين آراء الأجانب و آراء العرب في بلاغة الكلام، محاولين وضع البلاغة العربية قواعد ذاتية^(٢) و تطورت الآراء و الأفكار الخاصة بعلم البلاغة و من أشهر المعتزلة العتابي الذي قال في الألفاظ و المعاني^(٣) "الألفاظ أجساد و المعاني أرواح، و إنما نراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخرًا أو أخرت منها مقدما أفست الصورة و غيرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة و تغيرت الحلية" فهذه ملاحظة قيمة ودقيقة تبرز لنا علاقة اللفظ و المعنى، فالمعنى لا يقوم بغير اللفظ و أن توضع الألفاظ في مواضعها الدقيقة لأداء المعاني.

و يمكن أن نقول أن البلاغة ترعرعت و نشأت في حضن المعتزلة و هذا لما أثر عنهم في عدة قضايا بلاغية و لاسيما عند بشر بن المعتمر الذي ألف صحيفة محتوية على أهم الأفكار البلاغية، و قد رواها الجاحظ كاملة في البيان و التبيين.^(٤) و لا يسعنا المقام هنا لسوقها و كان من أبرز ما جاء فيها "ضرورة المزاجية بين اللفظ و المعنى و أن البلاغة هي أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال".^(٥) و كان لفرق المتكلمين أثر بالغ في ميدان البلاغة حيث اعتمد استعمال الألفاظ بطرق شتى من أجل الجدل و المحاجة، فساعد ذلك على بلورة عدد من المفاهيم البلاغية.^(٦)

الجاحظ: و الأمر الذي لا شك فيه أن أي دارس لتاريخ البلاغة العربية و تطورها عبر العصور لا يمكنه أن يغض طرفه على محطة هامة من محطات البلاغة المتمثلة

^١ - الجاحظ: البيان و التبيين: ٦٣/١.

^٢ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٣٩.

^٣ - المرجع نفسه: ٤١.

^٤ - الجاحظ: البيان و التبيين: ٩٢/٩١/٩٠.

^٥ - المصدر نفسه: ٩٧/١.

^٦ - عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية: ٢٣.

في إسهامات الجاحظ و هو مؤسس في نظر كثير من الدارسين علم البلاغة^(١) و قد ألف عدة مؤلفات أدرج فيها آراءه البلاغية في "البيان و التبيين" و "الحيوان" و من أشهر القضايا المعالجة عنده قضية المعنى و اللفظ، فكان يرى أنه ينبغي المزاوجة بين المعنى الشريف و اللفظ البليغ إذ قال الجاحظ: "و أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، و معناه في ظاهر لفظه، و إذا كان المعنى شريفاً، و اللفظ غريباً، و كان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه، و منزلها عن الاختلال، مصوناً من التكلف، صنع في قلب صنع الغيث في التربة الكريمة"^(٢) و تعرض الجاحظ في كتابه للصور البيانية المختلفة و بكثير من الفنون البديعية غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات و تحديدات^(٣) و البلاغة عنده ألوان عديدة منها الخطابة، و الخطابة بمعنى النثر و بمعنى فنون القول، و كان يقول: "و نحن -أبقاك الله- إذا أدينا للعرب أصناف البلاغة من القصيدة و الإيجاز و من المنثور و المسجوع، و من المزدوج و ما لا يزدوج"^(٤).

فالجاحظ تحدث عن أغلب القضايا البلاغية في مؤلفاته من قضايا في علم المعاني، إلى البيان و البديع، فمثلاً البديع نجد بن المعتز يعترف "بأن الجاحظ هو الذي سماه بهذا الاسم"^(٥).

و من أهم آراء الجاحظ حديث عن اللفظ و المعنى، إذ ينتصر للفظ الذي عليه المعول في إظهار المعاني إذ قال: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، و البدوي و القروي، و إنما الشأن في إقامة الوزن، و تميز اللفظ وسهولته، و سهولة المخرج و في صحة الطبع، و جودة السبك، فإنما الشعر صناعة، و ضرب من الصيغ و جنس من التصوير"^(٦).

و بعد التوصل إلى هذه القضايا اهتدى الجاحظ إلى نظرية النظم إذ يقول: "وأجود الشعر إذا رأيت متلاحم الأجزاء، سهل الخارج، فتعلم أنه أفرغ إفراغا واحداً

١- الجاحظ: البيان و التبيين : ٦١ .

٢- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٥٠/٤٩ .

٣- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٥٦ .

٤- الجاحظ: البيان و التبيين: ٢٨٤/١، ١١٦/٢ .

٥- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٥٧ .

٦- الجاحظ: الحيوان: تح: يحيى الشامي: ٤٠٨/٣ .

و سبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"^(١) فالنظم عند الجاحظ يكمن في تأليف و تلاحم الأجزاء و حسن السبك و يذكر أحد الباحثين^(٢) « أن مفاهيم الجاحظ تظهر من خلال مزاجية في وجهين و من تصنيفاته الثنائية هذه.

العالم الكبير	مقابل	العالم الصغير
المعنى	مقابل	اللفظ
البيان	مقابل	البلاغة
العمل	مقابل	القول
الحقيقة	مقابل	الاستعارة
المثل	مقابل	الشاهد «

و بهذا يعد الجاحظ الأول من أرسى ملاحظات علم البلاغة بفروعه المختلفة و إذ كان لم يقعد لها قواعد و قوانين و حسبنا أنه أشار إليها في المصنفات المختلفة واعتمد عليها الدارسون من بعد لبناء صرح لعلم قائم بذاته.

اهتم المتكلمون في العصر العباسي بالبحث في أوجه الإعجاز القرآني من حيث بيانه و بلاغته و من أشهر المتكلمين **الخطابي**^(٣) (ت ٣٨٨ هـ): "إذ رد على الذين يرون أن إعجاز القرآن بالصرفة بمعنى أن الله صرف العرب عن معارضته و رد على الذين يرون أن إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى تضمنه الأخبار المستقلة و قال أنه يرجع إلى بلاغته"^(٤) فالخطابي لا يرى الصرفة كوجه من أوجه الإعجاز، كذلك لم ير الإعجاز القرآني في الأخبار المستقلة التي تأتي في المستقبل، و إنما أرجعها إلى البلاغة التي تتضمن أساليب الكلام الجيد منها البليغ الرصين و منها الفصيح السهل، و منها الجائر الطلق"^(٥).

١- الجاحظ: البيان والتبيين : تج: عبد السلام هارون: ٦٧/١

٢- أحمد شامية: أستاذ جامعي بجامعة الجزائر تخصص لغويات: في اللغة: ١٢١.

٣- الخطابي: أحمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٨ هـ)، فقيه محدث له رسالة في الإعجاز القرآني.

٤- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٣.

٥- المرجع نفسه: ١٠٣.

هذا ما جاء في رسالته التي تحدث فيها عن إعجاز القرآن، لكنها لا ترقى إلى مستوى عال و عميق، و أشار إلى النظم، و رأى بأنه يحتاج إلى ثقافة و مهارة إذ يقول: "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة و الحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ و زمام المعاني، و به تنتظم أجزاء الكلام، و يتلاءم بعضه مع بعضه فتقوم له صورة في النفس ليتشكل بها البيان".^(١)

النكت في إعجاز القرآن للرماني: يرى الرماني^(٢) (ت ٣٨٦ هـ) مؤلف "النكت في إعجاز القرآن" في رسالته النكت أنه يرجع الإعجاز إلى سبعة جهات^(٣) هي: "ترك المعارضة مع توفر الدواعي و شدة الحاجة، و التحدي للكافة، و الصرفة و البلاغة، و الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، و نقض العادة، و قياس القرآن بكل معجز".

و يقسم البلاغة بدورها إلى ثلاث طبقات: عليا و وسطى و دنيا، و العليا هي بلاغة القرآن الكريم، و الوسطى و الدنيا بلاغة البلغاء، حسب تفاوتهم في البلاغة ويقول: «إن البلاغة على عشرة أقسام هي: الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و التلاؤم و الفواصل و التجانس، التصريف و التصحيف، و المبالغة و حسن البيان».^(٤)

إذ يرى الرماني أن التلاؤم هو حسن النظم و جودة السبك حتى يحلو في السجع و يخفف في اللسان.^(٥)

و يقسم الرماني الكلام إلى ثلاث أقسام: متنافر يستثقله اللسان، و تمجه الأذن و متلائم في الطبقة الوسطى و تدخل فيه بلاغة البلغاء و متلائم في الطبقة العليا و هو أسلوب القرآن الكريم الذي تصغى له الآذان كما تصغى القلوب و الأفئدة.^(٦)

إعجاز القرآن للباقلاني:^(٧) (ت ٤٠٣ هـ) رد على الرماني في قضية إعجاز القرآن إذ يرى أن القرآن معجز و بين وجوه إعجاز في ثلاث أوجه.^(٨)

١- الأخبار عن المغيبات.

^١ - عبد القادر حسين: أثر النحاة في الدرس البلاغي: ٣٧٨.

^٢ - الرماني: علي بن عيسى المتوفى ٣٦٨ هـ معتزلي له مصنفات في التفسير و اللغة و النحو و علم الكلام له رسالة النكت في إعجاز القرآن

^٣ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٣.

^٤ - المرجع نفسه: ١٠٤.

^٥ - الرماني: النكت عن عبد القادر حسين أثر النحاة في الدرس البلاغي: ٣٧٧.

^٦ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٣.

^٧ - هو أبو بكر محمد بن الطبيب الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ): متكلم أشعري له مصنفات: التمهيد، إعجاز القرآن، الانتصار عن إعجاز القرآن للباقلاني: تح: محمد عبد المنعم خفاجي: ٠٩.

^٨ - الباقلائي: إعجاز القرآن: تح: عبد المنعم خفاجي: ٤٣.

٢- الإخبار عن الأمم القديمة مع أمية الرسول صلى الله عليه و سلم.

٣- نظم القرآن.

و يرى الباقلاني أن الاهتمام بإعجاز القرآن و جوهه أهم من البحث في المسائل النحوية و اللغوية و يرى أن معجزة القرآن تقوم على بلاغته^(١).

و رد على الذين أرجعوا إعجاز القرآن إلى الصرفة التي يراها النظام والرماني و يرى كذلك أن إعجاز القرآن يعود إلى الإخبار عن الغيوب و أخبار القصص الدينية و سير الأنبياء ثم بلاغته^(٢)، و فكرة الإعجاز تعود لديه إلى النظم ولا يقول بفصاحة الألفاظ وحدها إذ يقول: "و ليس الإعجاز في نفس الحروف و إنما في نظمها و إحكام رصفها، و ليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة و متأخرة، و مترتبة في الوجود، و ليس لها نظم سواها، و هو كتتابع الحركات و وجود بعضها قبل بعض، و وجود بعضها بعد بعض"^(٣) و عقد بابا مستقلا في دلالة على صحة مفارقة القرآن لكلام العرب^(٤).

و هذا هو جوهر نظريته في الإعجاز، و ذكر الباقلاني أقسام البلاغة العشرة: و هي الإيجاز و التشبيه، و الاستعارة، و التلاؤم، و الفواصل، و التجانس و التصريف و التضمنين و المبالغة و حسن البيان^(٥) فهذه هي نفسها التي ذكرها الرماني.

و أرجع الباقلاني إعجاز القرآن إلى نظمه فيقول: "إنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"^(٦) و أورد فصولا في "إعجاز القرآن" في نفي الشعر من القرآن، و نفي السجع منه^(٧).

إعجاز القرآن للقاضي عبد الجبار:^(٨) (ت ٤١٥ هـ) أفرد القاضي عبد الجبار فصلا من كتابه "المغني" للحديث عن إعجاز القرآن و يحتوي على فصلين أولهما: عرض

^١ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٨.

^٢ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٨.

^٣ - رابع ديب: البلاغة عند المفسرين: ٥٣٣.

^٤ - المرجع نفسه: ٥٣٥.

^٥ - الباقلاني: إعجاز القرآن تع: عبد المنعم خفاجي: ٤٣.

^٦ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٠٨.

^٧ - الباقلاني: إعجاز القرآن: ١٠٣-١١٠.

^٨ - القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبادي قاضي الدولة البويهية بإيران، معتزلي ت ٤١٥ هـ له مصنفات عديدة أهمها "المغني في أبواب التوحيد و العمل".

لرأي أستاذه أبي الهاشم الجبائي فقال: « و قال شيخنا أبو الهاشم: "إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه و حسن معناه، و لابد من اعتبار الأمرين لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً، فإن يجب أن يكون جامعاً لهذين الأمرين، و ليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر و النظم مختلف"^(١)، و إذ أريد بالنظم اختلاف الطريقة، و قد يكون النظم واحداً، و تقع المزية في الفصاحة، و يخلص إلى القول بأنه لا يصح رد إعجاز القرآن إلى اختصاصه بطريقة في النظم دون الفصاحة بمعناها السابق»^(٢).

فنظرة عبد الجبار و شيخه تختلف عن نظرة الجاحظ في إعجاز القرآن إذ يرى الأخير أن الإعجاز يعود إلى نظم القرآن و طريقته، فعبد الجبار يلح على أن تكون الفصاحة راجعة إلى اللفظ و المعنى.

و فسر عبد الجبار العلة التي يتفاضل الكلام في فصاحته إذ يقول: "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة و لابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، و قد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، و قد تكون بالموقع"^(٣).

و الواضح من خلال هذا المقطع أن القاضي عبد الجبار لا يعترف بفصاحة الكلمة المفردة بمعزل عن السياق و النظم.

فالفصاحة عند عبد الجبار محددة في ثلاث أبعاد في التركيب اللغوي هي: الإبدال و الموقع و الإعراب^(٤)، و هي لا تختص بالكلمة المفردة و إنما تختص بالسياق و تهتم بحسن تألفه و دقة تركيبه.

إن العرض الموجز السابق لأشهر أعلام المتكلمين في العصر العباسي يقدم لنا صورة بسيطة عن بذور نشأة علم البلاغة و ربطها بفكرة الإعجاز القرآني، هذا الكتاب المقدس -القرآن الكريم- الذي ألهم العلماء و الفقهاء و المتكلمين و المفسرين

^١ - محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمد المصري: أثر المتكلمين في تطوير الدرس البلاغي القاضي عبد الجبار أنموذجاً: ١٤ .

^٢ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١١٥ .

^٣ - عبد الجبار القاضي: ١٩٧/١٦ عن محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المعري: أثر المتكلمين في تطوير الدرس البلاغي: ١٨ .

^٤ - محمد أبو شوارب و أحمد محمود المصري: أثر المتكلمين في تطوير الدرس البلاغي: ٢٠ .

واللغويين إلى البحث عن وجوه الإعجاز و أسرار البيان فمنهم من رأى إعجازه يظهر في لفظة و هناك من رأى في معناه و هناك من رأى في صورته و ألوانه البديعية المختلفة و منهم من رأى في رصفه و نظمه و تأليفه ... إلخ.

و المتكلمون أسهموا بشكل كبير في إرساء قواعد علم البلاغة إذ نجد العالم الرماني قدم مفهوما واضحا للبلاغة على الرغم أن الجاحظ سبقه في وضع ملاحظات عن البلاغة و مفهومها وفنونها، في حين نجد الرماني يحدد مفهوما دقيقا للبلاغة من الوهلة الأولى إذ رفض أن تكون البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ و الآخر عيي.

كذلك رفض أن تكون البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى و هو غث مستكره، و نافر متكلف، و المفهوم الذي يرتضيه أن البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ^(١) و كما أنه لا يعقل أن تأتي نظرية من فراغ بل هناك إرهاصات و إشارات أولية سبقت التنظير للنظرية والتععيد لها.

و من النتائج التي أفرزتها الانطباعات في المجال البلاغي ظهور فكرة النظم كصيغة جديدة، جعلت منها بحثا عميقا في العلاقات المتداخلة بين المفردات والتراكيب، بل أصبحت نظرية لغوية و نقدية و بلاغية، و أصبحت لها دلالات مختلفة، لدى الإمام عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١ هـ)، و سنشير إليها في بحثنا في مواضع لاحقة -إن شاء الله- بعد أن جاء عبد القاهر لم تعد كلمة النظم كلمة عامة لا مضمون لها حقيقيا كما عند الباقلاني « و لم تعد كلمة غامضة الدلالة كما عند القاضي عبد الجبار، بل لم تعد أيضا عنصرا ثالثا لعنصري اللفظ و المعنى كما ذهب إليه الخطابي»^(٢).

^١ - السيد شفيع: البحث البلاغي عند العرب: ٥١.

^٢ - المرجع نفسه: ٦٧.

الـ_Ä_--dž_-----ل_اؤوğ :

وق_Ä_--ة_م_ů_ك_ا_-----ل_k

" د_è_--ل_الإع_ج_-----ل_ح "

وقفة مع دلائل الإعجاز:

إن العزوف عن دراسة التراث أصبح ظاهرة تمتاز بها فئات كثيرة من المثقفين و الباحثين أبناء لغة الضاد، فمنهم من يرى العودة إلى التراث و دراسته رجعية و تخلفاً، إذ يعتقدون أن لكل عصر إنتاجه و تراثه، و الواقع أن ليس لكل عصر تراثه و إنتاجه، التراث متواصل مع كل العصور و خالد خلود الإنسانية، فالعودة إلى التراث لاستقراءه و دراسته معناه الكشف الحقيقي عن الإنجاز المعرفي و الثقافي في مختلف ميادين المعرفة.

و التراث العربي اللغوي حافل بالبحوث و الإنجازات القيمة و مازالت تحتل مكانة مرموقة و من بين ألمع الأسماء التي حفظتها ذاكرة التراث العربي عبد القاهر الجرجاني الذي اشتهر بمؤلفيه الخالدين دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة.

المبحث الأول: التعريف بالكتاب و طبعه:

إن الإمام عبد القاهر قد صنف كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في علم البيان العربي هما "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز".

فهما أصلان أسسا قواعد النظر في علم بلاغة اللسان العربي، فخصص المؤلف الأول "أسرار البلاغة" لمباحث علم البيان فضلا عن بعض ألوان من البديع كالجناس و السجع أما المؤلف الثاني "دلائل الإعجاز" فتحدث فيه عن علم المعاني ويشهد هذا الكتاب لصاحبه بعبقريّة لغوية فذة تنم عن ذوق سليم لأساليب اللغة العربية و ثقافة واسعة لعلوم النحو العربي و آراء أرسطو عامة.

طبقات "دلائل الإعجاز": قبل أن نتحدث عن طبقات دلائل الإعجاز يجدر بنا أن نشير إلى المخطوطات التي ذكرها المحققون لكتاب "دلائل الإعجاز"، و اعتمدوا عليها في إخراج الكتاب على الوجه الذي هو عليه الآن و تعود أقدم هذه المخطوطة إلى القرن السادس الهجري سنة (٥٦٨ هـ) أي بعد وفاة الشيخ عبد القاهر بنحو سبع و تسعين سنة (٩٧ سنة)، و هي في مكتبة حسين جلبي معاني بتركية و هي منقولة

عن نسخة الشيخ عبد القاهر كما نص على ذلك كاتبها: "هذا مما نقل عن مسودته بخطه بعد وفاته رحمه الله".^(١)

النسخة الثانية و هي في مكتبة أسعد أفندي تحت رقم ٣٠٠٤ بتركية و جاءت خلوا من ذكر اسم ناسخها و لا تاريخ كتابتها و قد رجح الأستاذ محمود شاكر "أنها من خطوط القرن السادس أيضا أو في القرن السابع، و هي نسخة نفيسة دقيقة مضبوطة ضبطا كاملا".^(٢)

كما أشار المحققون إلى عمل الشيخ محمد عبده في مقابلته النسخة من "الدلائل" يمتلكها بنسختين اثنتين جلب الأولى من المدينة المنورة و الثانية من بغداد و على هذا النسخ اعتمد بعض المحققين في إخراج كتاب "دلائل الإعجاز" و يبدو أن أهم طبعة ظهرت لكتاب "دلائل الإعجاز" هي تلك التي صدرت بمصر سنة ١٣٢١ هـ بعناية الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - و هي أول مطبوعة صدرت، ثم أعيد طبعها سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ م، و قد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أنه نشر كتاب "أسرار البلاغة" لعبد القاهر في أول سنة ١٣٢٠ هـ ثم قال: "لما هاجرت إلى مصر لإنشاء مجلة "المنار" الإسلامي في عام ١٣١٥ هـ وجدت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية إحياء علوم العربية و مفتي الديار المصرية مشغلا بتصحيح كتاب "دلائل الإعجاز"، و قد استحضر نسخة من المدينة المنورة، و من بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده، و أزيد الآن أنه قد عني بتصحيحه أتم عناية و أشرك معه فيها إمام اللغة و آدابها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي التركي^(٣)، و ناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح أصله علامتي المعقول والمنقول، وبعد أن أتم الأستاذ الإمام تدريس كتاب "أسرار البلاغة" في الجامع الأزهر، عهد إلي بأن أطبع كتاب "دلائل الإعجاز" ليقراه بعده، فشرعت في الطبع و شرع هو في التدريس".^(٤)

^١ - الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٥٣٩.

^٢ - الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: محمود شاكر: ي

^٣ - محمد محمود بن أحمد بن التركي الشنقيطي: نسبة إلى شنقيط في موريتانيا أديب لغوي شاعر ولد نحو ١٨١٤ بشنقيط و انتقل إلى مصر و اتصل بمحمد عبده، و توفي بالقاهرة في شوال ١٣٢٢ هـ، ١٩٠٤ م عن عمر يناهز التسعين، معجم المؤلفين: ٣١٣/١١.

^٤ - الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: رشيد رضا: ٥١.

فأصبحت هذه الطبعة هي الأصل في الطبعات التي تلتها لكتاب دلائل الإعجاز فطبعه أحمد مصطفى المراغي في طبعتين عام ١٩٥٠ م ١٣٦٩ هـ و الثانية بدون تاريخ.^(١)

و طبع الكتاب بالمغرب العربي بتحقيق الأستاذ محمد بن تاوييت^(٢) و صدرت في دمشق طبعة للكتاب عام ١٩٨٣ م بتحقيق الدكتور بن محمد رضوان الداية و فايز الداية^(٣)، و طبع الكتاب بطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٩٢ م بتعليق الأستاذ محمود شاكر.

و لعل آخر طبعة اطلعت عليها لكتاب "الدلائل" كانت بعناية الدكتور ياسين الأيوبي الصادرة سنة ٢٠٠٢ م.

و قد اعتمد الأستاذ الأيوبي على طبعات سبقته في ضبط ما أشكل عليه ولاسيما طبعة دمشق إذ يقول: "و أما الطبعة الدمشقية التي عني بها محققان جليلان، فكنت أعود إليها من حين لآخر في بعض حالات الإشكال الإعرابي، و ربما للاهتمام إلى من عزت علي المصادر في معرفة صاحب الشاهد الشعري، و قد ينتقد هذا الذي أفاد منه نحو قوله عن الشواهد التي اهتدى إلى أصحابها "فإذا بها لم تعن بتشكيل النص إلا في حدود ضيقة، قلما أفدت منها في هذا الجانب".^(٤)

و قام الأستاذ الأيوبي بجهد كبير و أنفق وقتا كبيرا في إخراج الكتاب على هذه الصورة القشبية، و لفت الانتباه إلى الجهود التي سبقته، ذاكر بعض النقائص التي احتوتها إلى «أن هذا الجهد و ذلكما العناية و الإشراف، حفلت بكثير من النقص الذي احتوى معظم الكتب الصادرة في تلك المرحلة و المتمثل بما يلي:

- خلو النص من التشكيل الإعرابي إلى فيما ندر.
- اقتصار الحواشي على بعض الشروح اللغوية و الإعرابية.
- خلو الكتاب من كل الفهارس، و غير ذلك من أمور جهدت في تلافيتها جميعا فعمدت إلى ضبط النص ضبطا كاملا حتى الذي كان موضع تردد و إشكال.

^١ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٤.

^٢ - المرجع نفسه: ٣٤.

^٣ - الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: ياسين الأيوبي: ٥٦.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: ياسين الأيوبي: ٥٩.

إذ لا قيمة لتحقيق أي أثر تراثي إن لم يقترن بتشكيل دقيق، لأن من شأن ذلك، الوقوف على دقائق الأفكار و مسارها الإعرابي الصحيح، بحيث لو وضعت ضمة مكان فتحة أو حركة مكان تنوين، أو أهملت علامات الوقف - و هي من مقتضيات التشكيل -تغير المعنى، و ضاعت الفائدة»^(١).

و يبدو لي أن المحقق الفاضل كان يشعر بعظيم المسؤولية و خطورتها حين قال بتواضعه الجم في مقدمته: "من هنا كانت العناية الشديدة، و الجهد الكبير لوضع العلامات، و حركات الإعراب، مع الاعتراف بأن ما قمت به يظل بحاجة إلى مراجعة و تدقيق.

فقد يعتو رني الخطأ في جانب أو آخر لصعوبة المنحى التأليفي الذي اختطته الجرجاني، و لإطالة الجمل و العبارات، و تداخل أغراض شتى داخل الغرض الرئيسي الذي يصاغ الكلام لأجله"^(٢).

و ما يمكن أن يؤخذ على الأستاذ الأيوبي أنه أغفل طبعة المدني بتحقيق الشيخ محمود شاكر، و هو أشهر من نار على علم لما يتميز به الشيخ من دقة في مجال التحقيق و قد صدرت طبعته الثالثة سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م، في حين صدرت، طبعة الأيوبي ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م، و لو رجع إليها لقوم كثيرا من اعوجاج مؤلفه و مثال على ذلك ما ذكره الأيوبي في الهامش لدى تعرضه للشاهد الشعري (من الوافر).

و ذاك له إذا العنقاء صارت مربية و شب ابن الخصي

البيت مجهول النسبة^(٣) و هو لأبي تمام في طبعة الشيخ محمود شاكر: "الشعر لأبي تمام في ديوانه"^(٤) و كثير من الشواهد الشعرية التي حواها الدلائل استغلقت على الدكتور ياسين الأيوبي شرحها الشيخ محمود شاكر.

كما يمكننا أن نشير بمثال آخر على الهفوات التي وقع فيها الأيوبي فلدى تعرضه لأبيات ابن مقبل التي يقول فيها: (من الطويل)

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: ياسين الأيوبي: ٥٧.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: ياسين الأيوبي: ٥٨.

^٣ - المصدر نفسه: ٣٩٣.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: محمود شاكر: ٤٢٠.

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قائلًا بعدي أظب و أشعرا
و أكثر بيتا سائرا ضربت لــــه حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أغر غريبا يمسح الناس وجهه كما تمسح الأيدي الأغر المشهرا
أشار المحقق إلى الشعر و الشعراء بتحقيق الأستاذ محمود شاکر، و قد ضبطت فيه
لفظة "مت" بكسر الميم و ضمها في حين ضبطها المحقق بالضم فقط "مت"
وبالرجوع إلى ديوان ابن مقبل -الذي لم يرجع إليه المحقق- ألفيناها مضبوطة بالكسر
"مت"^(١)، و أحال الشيخ محمود شاکر على ديوان ابن مقبل وعلق على اختلاف
الرواية بين "الديوان" و ما ورد في "دلائل الإعجاز" بقوله: "الشعر في ديوانه و هو
فيه" لها تاليا بعدي" و "بيتا ماردا" و هي أجود و أدق".^(٢)

و ذكر الأيوبي لدى ترجمته للشاعر بن مقبل ما نصه: " و ابن مقبل هو تميم ابن
أبي من بني العجلان بن ربيعة شاعر مخضرم . أدرك الإسلام و أسلم و رثي عثمان
بن عفان . عمر طويلا فعاش ١٢٠ سنة . تميز شعره بالمفردات الغريبة و الأوصاف
الجاهلية توفي سنة ٢٥ هـ ٦٤٦ م ."^(٣)

«وهذه الترجمة على ما هي عليه تحمل كثيرا من المتناقضات: إذا كان ابن
المقبل قد رثي الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- و هو مؤكد بشعر ذكره في
ديوانه و أكدته عدة مصادر موثوقة، فإننا نسأل الدكتور ياسين الأيوبي كيف يرثي
الشاعر الخليفة و قد ذكر أنه توفي قبل وفاة الخليفة؟! (٢٥ هـ)، و مما لا شك فيه أن
هذا الوهم الذي وقع فيه الأستاذ الأيوبي قد ذكره أيضا: صاحب الأعلام لدى ترجمته
للشعر فذكره أنه توفي سنة ٢٥ هـ»^(٣).

و تذكر المصادر أن الخليفة عثمان ابن عفان قد قتل سنة ٣٥ هـ، يقول ابن
الأثير : "و كان قتله أي عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- لثمانى عشرة دخلت من

^١ - تميم بن أبي بن مقبل: ديوانه: ١٣٦ .

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: محمود شاکر حاشية: ٥١٢ .

^٣ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: ياسين الأيوبي: ٦٦٩ .

^٤ - المصدر نفسه: تح: محمود شاکر .

ذي الحجة خمسة و ثلاثين يوم جمعة"^(١)، و تدل الدراسات الحديثة المستندة على أقوال القدماء، و شعر ابن مقل أنه كان حيا بعد ٧٠ هـ.^(٢)

و على هذا يمكننا أن نطمئن إلى كتاب "الدلائل" الذي بين أيدينا و لاسيما نسخة محمود شاكر التي تميزت بالدقة في التحقيق، و الأناة في إصدار الأحكام و يعد الإمام محمد عبده من العلماء الذين اعتنوا بتدريسه في الجامع الأزهر الشريف قال محمد رشيد رضا: "الجامع الأزهر أول معهد من معاهد التعليم الديني العربي قرئ فيه دلائل الإعجاز ... درسا لطلاب البلاغة"^(٣) إذ كان الكتاب من أمهات الكتب المعتمدة عليها في الدراسات البلاغية و اللغوية.

و إذا أردنا أن نقف عند مسألة أسبقية كتاب "الدلائل" عن الكتب التي ألفها عبد القاهر في المجال البلاغي فمن الصعوبة بمكان الإجابة عن هذا السؤال لأن مؤلفها لم يفصح بذلك و تباينت آراء الدارسين المحدثين لمؤلفي عبد القاهر، فمنهم من يرى أن "الدلائل" أسبق من "أسرار البلاغة"، و منهم من يرى أسبقية "الأسرار" على "الدلائل"، فقد رجح الأستاذ محمد خلف الله كتاب الدلائل عن الأسرار بقوله: "إن كتاب الدلائل الإعجاز جاء أولا بحكمة أهمية موضوعه لدى المؤلف، فهو كتاب عام في النظرية الأدبية و علاقتها بإعجاز القرآن، يطرق فيها عبد القاهر أهم النواحي التي عرفت بعد باسم البلاغة"^(٤)، كما أن هناك إشارات متعددة توحى بأن "دلائل الإعجاز" أسبق من "أسرار البلاغة" و من بينها أن الإمام عبد القاهر حاول أن يحل فكرة النظم محل فكرة اللفظ غير أن جمال الصور الفنية في هذه الأبواب لا ينكشف على أساس فكرة النظم وحدها، فكان من الطبيعي أن تبحث بحثا خاصا يؤكد فيه الجانب النفسي من جمالها، و هذا هو موضوع "الأسرار".^(٥)

^١ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٩٠/٣.

^٢ - تميم بن أبي بن مقل حياته و شعره: ٣٣ إعداد مسعود عامر: رسالة لنيل درجة الماجستير جامعة دمشق سورية ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

^٣ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٢٨.

^٤ - المرجع نفسه: ٢٩.

^٥ - المرجع نفسه: ٢٩-٣٠.

كما يمكننا أن نشير إلى مؤشر آخر لأسبقية "الدلائل" على "الأسرار" هو أن عبد القاهر تأثر بالدراسات اليونانية وكتب أرسطو، وتأثره بالدراسات اليونانية أظهر في "أسرار البلاغة" منه في "دلائل الإعجاز" كما ذكر أحمد مطلوب: "و من الطبيعي و المعقول أن يمثل "الأسرار" مرحلة من تفكير المؤلف متأخرة في الوجود الزمني عن مرحلة "الدلائل"^(١)، و يؤكد الدكتور أحمد أحمد بدوي هذه الوجهة واستدل بذلك قائلا: "إن عبد القاهر تحدث عن الجنس و السجع باختصار في دلائل الإعجاز و فصل القول فيهما في "أسرار البلاغة"^(٢)، و هو أيضا ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف "إذ يرى أن "الدلائل" أسبق من "أسرار البلاغة" لأن آراءه في الأسرار أدق و أوضح، و لأن فيه آراء نفيسة لا عهد لنا به في كتاب دلائل الإعجاز و كأنها تكاملت له أدواته في تصوير دقائق التراكيب البلاغية و أثرها في النفوس".^(٣)

و من الذين رجحوا تأخر "الدلائل" الأستاذ محمود شاكر إذ يقول: «بعد وقفة متأنية دامت أكثر من ثلاث عقود، و أنا أرجح أن عبد القاهر كتب كتابه هذا في أواخر حياته، بدليل ما هديتنا إليه النسخة المخطوطة من "الدلائل" التي رمزت إليها بالحرف "ج" و أنه كان يوشك أن يعيد النظر في كتابه ليجعله تصنيفا في علم جديد اهتدى إليه، و استدركه على من سبقه و شق له الطريق»^(٤).

و يتضح من هذه الآراء -السالفة الذكر- حجم التباين بين أقوال العلماء المحدثين في عدم فض مسألة أسبقية كتابيه "الدلائل" أو "الأسرار" على أننا يمكن أن نرجح أسبقية أسرار البلاغة على دلائل الإعجاز، و لعل الموت قد عاجله قبل أن ينظر في تبويب دلائل الإعجاز و تقسيمه و تصنيفه -كما فعل في أسرار البلاغة- وهو الرأي الذي ذهب إليه الشيخ محمود شاكر -رحمه الله-.

^١ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٠.

^٢ - المرجع نفسه: ٣٠.

^٣ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ١٩٠/١٩١.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح: محمود شاكر: هو

المبحث الثاني: دوافع تأليف كتاب "دلائل الإعجاز"

إن المعنى الحقيقي للإعجاز ظهر مع نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه و سلم معجزة للناس أجمعين، و لكن لم يكن بهذا المصطلح ذاته بل بمصطلح آخر و هو "الآية"، و مدار الإعجاز أن القرآن الكريم جاء من عند الله معجزا أن يأتوا بمثله و هذه حقيقة تجلت في القرآن ذاته إذ قال الله تعالى: "و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون و آتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها و ما نرسل بالآيات إلا تخويفا"^(١) و قال تعالى في موضع آخر: "و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات"^(٢) فلفظة الآية بمعنى المعجزة.

و الإعجاز في اللغة كما جاء في لسان العرب "العجز نقيض الحزم والمعجزة و المعجزة: العجز، و الضعف، و عدم القدرة"^(٣)

قال الحافظ ابن حجر: "و سميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها و الهاء فيها للمبالغة"^(٤)، و أعجزه الشيء صيره عاجزا عنه فهو معجز و معجزة.

و في الاصطلاح: المعجزة أمر يجريه الله على يد النبي عليه الصلاة و السلام يفوق طاقات البشر و يخرق قوانين الطبيعة و خواص المادة، و يتحدى النبي به قومه، فلا يقدر أحد على معارضته.^(٥)

فسبب ظهور الإعجاز يعود أولا إلى نزول القرآن الكريم و هو معجزة الرسول -صلى الله عليه و سلم- الأولى و القوية و الخالدة التي لا يختلف فيها اثنان وهذا باعتراف المسلمين و المنصفين غير المسلمين، بل تحدى الله العرب و غيرهم أن يأتوا بمثل هذا الكلام المنزه عن الخطأ و التحريف و التزييف و الزوال و لو كان بعضه لبعضه ظهيرا.

^١ - الإسراء: ٥٩.

^٢ - الإسراء: ١٠١.

^٣ - ابن منظور: لسان العرب: عجز.

^٤ - ابن حجر: فتح الباري: ٣٧٥/٦.

^٥ - نور الدين عتر: القرآن الكريم و الدراسات الأدبية: ١٣٩.

لكن مصطلح الإعجاز ظهر في القرن الثاني للهجرة (٢ ق هـ) و نشأ في بيئة المتكلمين الذين يدافعون عن القرآن الكريم بالرد على المشككين و الملحدين والزنادقة و أهل الهوى و الزيف.

و كما هو معلوم عند أهل العلم أن جنس المعجزة تأتي من جنس العلم أو الأمر المتفوق فيه عند الأمة التي أنزلت إليها المعجزة، و ذلك حسب حال القوم أو الأمة التي يبعث فيها النبي و يتحدى بفضل المعجزة التي أمده بها الله قومه بأفضل ما أتقنوه و برعوا فيه، ليعلم أن هذه المعجزة ليست مما أتقنوه و لا يمكن أن تبلغها طاقاتهم البشرية، و من ثم يكون ذلك أدل على عجزهم و صدق نبيهم، فلما كان قوم موسى -عليه السلام- برعوا في السحر و تفوقوا فيه كانت معجزة موسى -عليه السلام- هي العصا تنقلب حية و تلقف ما يأفكون و اليد يضمها إلى جناحه فإذا هي بيضاء للناظرين.

و لما بعث عيسى -عليه السلام- في قوم برعوا في الطب جعل الله معجزته إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص، و لما كان العرب قوم لسن و بلاغة و بيان كانت معجزة الرسول -صلى الله عليه و سلم- هي القرآن الكريم.

إن تاريخ الإعجاز مر بثلاث مراحل أساسية و كل مرحلة ممثلة بثلة من الأعلام في ميدان الإعجاز و علوم اللغة و البلاغة.

فالمرحلة الأولى تعرف بمرحلة الإشارات: إن تاريخ تأليف الكتب عن القرآن يعود إلى العالمين أبو عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) ألف كتاب إعجاز القرآن و العالم الثاني الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ألف كتاب "معاني القرآن" و كتب هذان الكتابان في القرن الثاني للهجرة.^(١) ففيهما ظهرت بذور الإعجاز التي تحدثت عن أسلوب القرآن ونظمه لكن حسب ما ورد في كتب المؤرخين للإعجاز لم ترد لفظة "الإعجاز" بعينها و لكن كانت هناك تلميحات إلى فكرة الإعجاز، و من أشهر الذين وردت في كتبهم الإشارات النظام (ت ٢٢١ هـ) المعتزلي شيخ الجاحظ، فقد تحدث النظام عن القرآن الكريم كونه دليلاً على صدق النبي -صلى الله عليه و سلم- و لكن وجه

١- عباس فضل حسن و سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٣٨.

الإعجاز في ذلك عند النظام يظهر في أخبار الغيب التي تضمنها القرآن الكريم وعرف بمذهبه المتمثل في الصرفة^(١) و المقصود بمفهوم الصرفة أن الله صرف العرب على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، و استدل النظام بقوله تعالى: " الْمَرْءُ غُلِبَتْ

الرُّومُ"^(٢) و قوله تعالى: " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ"^{(٣)(٤)} و هناك

في الحقيقة كتب سبقت هذين الكتابين لكنهما لم يصل إلينا منها شيء و حسبنا أن نذكرهما: الأول: تفسير الحسن بن الحسن البصري و الثاني كتاب تفسير السدي (ت ١٢٧ هـ) أما العلامة الثانية: الجاحظ: ظهرت فكرة الإعجاز في كتبه وهي "البيان والتبيين" و "الحيوان" و "نظم القرآن" و يحسن بنا أن نلخص نظرة الجاحظ إلى الإعجاز في مجموعة من الأفكار:

- القرآن بليغ من جهة ألفاظه المختارة، و معجز في إيجازه و تشبيهه ومجازه.^(٤)

- القرآن معجز بالصرفة^(٥) و هي تختلف عن الصرفة التي قصدها شيخه النظام العلامة الثالثة: ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): فقد رد على الملاحدة و الشعوبيين لاسيما في مؤلفه "تأويل مشكل القرآن" و "غريب القرآن"^(٦) الذي أورد فيها قضايا حول التشبيه و الاستعارة و المجاز و قضية التكرار و الزيادة.

^١ - عباس فضل حسن و سناء فضل : إعجاز القرآن الكريم : ٤٠

^٢ - الروم: ٠١.

^٣ - الأنفال: ٠٧.

^٤ - رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ٤٩٥-١٩٧-٥١١.

^٥ - عباس فضل و سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٤٠.

^٦ - فضل: عباس حسن سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٤٠.

أما العالم الآخر: الواسطي (ت ٣٠٦ هـ) الذي ألف كتاب حول إعجاز القرآن لكنه مفقود.^(١)

أما المرحلة الثانية: مرحلة الرسائل: أول رسالة هناك: "النكت في إعجاز القرآن الرماني (ت ٣٨٦ هـ) و وجه الإعجاز لديه يكمن في وجوه سبعة:^(٢)

١- ترك المعارضة مع توفر الدواعي و شدة الحاجة: فالعرب تركوا معارضة القرآن الكريم مع أن دواعيهم كانت متوفرة.

٢- الصرفة.

٣- التحدي للكافة: أي أن القرآن الكريم تحداهم في غير موضع فقعدوا وابتعدوا عن محاكاته.

٤- البلاغة: فالرماني قسم الكلام إلى مراتب عدة أعلاها: القرآن الكريم و وسطها كلام البلغاء و الشعراء، و أدناها كلام العامة.

٥- الأخبار الصادقة عن الأحوال المستقبلية: لأن الأخبار التي تحدث عنها القرآن الكريم وقعت وتحققت و لم يتخلف عنها خبر واحد.

٦- نقض العادة: و المقصود بها مجيء القرآن الكريم على وضع لم يعتاده العرب من قبل، فالعرب عرفوا الشعر و الرجز و الخطابة، لكن شكل القرآن مخالف لذلك.

٧- قياسه بكل معجزة: فمعجزات الأنبياء و الرسل كلها خارقة للعادة معجزة للناس كذلك الشأن بالنسبة للقرآن الكريم.

أما الرسالة الثانية تمثلت في رسالة الخطابي الموسومة ببيان إعجاز القرآن الكريم^(٣) التي تعرض فيها للحديث عن عجز العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، و علل ذلك بالصرفة، فالعرب عجزوا على أن يأتوا بأسلوب مثله من بيان و بديع سحره و جمال تراكيبه، فلقد تحدى القرآن الكريم الإنس و الجن أجمعين في قوله تعالى: "قل لئن

^١ - المرجع نفسه: ٤١.

^٢ - شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٤٩.

^٣ - شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٤٩.

اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(١)

أما الوجه الثاني من أوجه الإعجاز تجسد في أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله أما الوجه الآخر فهو أن القرآن الكريم معجز ببلاغته و ذوقه^(٢)

أما المرحلة الثالثة فتمثلت في دور الكتب، و نمذجنا الأول الباقلائي الذي ألف كتاب إعجاز القرآن، تكلم فيه عن نبوة الرسول -صلى الله عليه و سلم- و أن معجزتها القرآن، و أحصى جملة وجوه إعجازه^(٣) في:

- ١- الأخبار عن المغيبات: القرآن أخبرنا عن أخبار قبل أن تحدث.
- ٢- أخبار الأمم القديمة و الأنبياء و الرسل مع أمية الرسول -عليه الصلاة والسلام.

٣- نظم القرآن: ثم تحدث عن نفي الشعر و السجع عن القرآن الكريم. فالقرآن الكريم عجيب التركيب متناسق في نظمه و في لفظه، معجز في معانيه إذ يقول: "و اختيار اللفظ لمعنى متداول معروف بين الناس أصل سهل ميسر، لكن الأمر الذي فيه صعوبة و دقة و عسر على الكثير من الناس هو اختيار الألفاظ لمعاني جديدة غير معروفة و لا مألوفة، و كذلك كان القرآن فمعانيه جديدة اختيرت لها ألفاظ بارعة^(٤) فاللفظ و المعنى كلاهما فيه جدة و هذا الأمر ليس عاديا عند الناس.

أما النموذج الثاني من أعلام الإعجاز الإمام القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥ هـ) المؤلف لكتاب "المغني في أبواب التوحيد و العدل"^(٥) و تعرض فيه لعدة قضايا و فسر فكرة الإعجاز إذ قال: "و معنى قولنا في القرآن أنه معجز يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به"^(٦) إذ يرى القاضي

^١ - الإسراء: ٨٨.

^٢ - عباس فضل حسن و سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٤٨.

^٣ - الباقلائي: الإعجاز القرآني: تع: محمد عبد المنعم خفاجي: ٤٣.

^٤ - عباس فضل و سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٥٧- ٥٨.

^٥ - عباس فضل و سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٦٠.

^٦ - المرجع نفسه: ٦٠.

عبد الجبار أن الإعجاز ليس في نظم الكلام، كما أنه يرى أن الصرفة ليست معجزة و كذلك رد على وجه إخبار بالغيب و يقرر القاضي أن القرآن الكريم ليس معجزة للعرب وحدهم، بل لسائر الناس، و يرى أن إعجاز القرآن يكمن في فصاحته.^(١)

أما النموذج الثالث: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ): كان من أشهرها علماء زمانه في البلاغة و النقد و كان إماما أشعريا، فقد أنتج إنتاجا هاما في حقل الإعجاز، و قبل التطرق إلى وجوه الإعجاز لدى الجرجاني تجدر الإشارة بنا الوقوف عند حقيقة مهمة و فحواها أن العلماء الذين سبقوا الجرجاني كانوا على فريقين: الأول منتصر للفظ و الثاني منتصر للمعنى، و عندما جاء عبد القاهر اتخذ موقفا متميزا عنهما و أتى بنظرية جديدة الموسومة بنظرية النظم إذ حاول عبد القاهر فيها بيان أن القرآن الكريم معجز بنظمه لا بالصرفة ^(٢) لفت انتباه المفسرين و العلماء على اختلاف مناهلهم العلمية و مذاهبهم الأصولية.

فتباينت آراؤهم فمنهم من انتصر للفظ و عده أساسا في إعجاز القرآن الكريم، و منهم من انتصر للمعنى و بالغ فيه، و كذلك الأمر نفسه لمن حاول التوفيق بين المعنى و اللفظ^(٣)، و منهم من يرى أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في صدوره البيانية و التحسينات البديعية و الجمالية و راح الكثير منهم إلى الكشف عن أسرار و دقائق القرآن الكريم على مختلف المستويات اللغوية و البلاغية و النقدية و الأسلوبية، فشاعت كلمة النظم شيوعا كبيرا بين أوساط البلاغيين بل جعلوه عنوانا لأبحاثهم في إعجاز القرآن الكريم كالجاحظ و الواسطي^(٤) و الخطابي و الرماني.^(٥)

^١ - محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المصري: أثر المتكلمين في تطوير الدرس البلاغي (القاضي عبد الجبار نموذجاً): ١٣.

^٢ - أحمد مطلوب : عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده : ٣٤ .

^٣ - زهران البدر اوي: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المتقن في العربية و نحوها: ١٦٠.

^٤ - الواسطي: أبو عبد الله محمد بن زيد: لغوي بلاغي صاحب إعجاز القرآن ت ٣٠٦ هـ.

^٥ - المرجع نفسه: ١٦١.

إن ظهور الإعجاز في القرن الثاني للهجرة و تأليف عدة مؤلفات التي تبين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، تعد أهم عامل أدى بالإمام عبد القاهر الجرجاني إلى تأليف كتاب "دلائل الإعجاز"، كما جاء في مقدمة محمود شاكر أن هناك عوامل عدة جعلت عبد القاهر يؤلف كتابه دلائل الاعجاز والعوامل هي^(١) :

١. يريد عبد القاهر تأسيس علم جديد في البلاغة وإعجاز القرآن.

٢. يريد الرد على قولين وإبطالهما وهما :

أ- " أن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ"

ب- " أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات ولكن تظهر بالضم على طريقة

مخصصة"

وهذان القولان للقاضي عبد الجبار المعتزلي

٣. يريد الرد على أنصار مذهب الصرفة بمعنى أن الله صرف البشر على أن

يأتوا بمثل هذا القرآن لغة ومعنى وأخبارا وقصصا

٤. الرد على أنصار اللفظ

أما القول بالصرفة فهو من مذهب المعتزلة.

و يتضح لنا جليا أن الإمام عبد القاهر رد على أنصار اللفظ الذي يرجعون الإعجاز إليه، كما رد على الذين يرون الإعجاز القرآني في مذهب الصرفة، ولعل الرد على هذه القضايا هي التي دعت الإمام إلى تأليف مصنفه "دلائل الإعجاز"، ورأى أن وجه الإعجاز القرآني يكمن في نظمه لا في لفظه و لا فواصله و لا في مجازه و لا صورته البيانية.

^١ - هذه العوامل اشار اليها محقق الدلائل محمود شاكر في مقدمته : أ ب ج د

المبحث الثالث: أهم ما جاء في "دلائل الإعجاز"

لقد شهد معظم الباحثين المحدثين أن كتاب "دلائل الإعجاز" يعتبر من أهم ما ألف في علوم اللغة العربية على الإطلاق، لاحتوائه على عدة قضايا إعجازية وبلاغية ونحوية ونقدية مهمة.

افتتح عبد القاهر كتابه "دلائل الإعجاز" بمقدمة تتحدث عن وجه الإعجاز لديه المتمثلة في النظم أو التعليق إذ قال: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، و جعل بعضها بسبب من بعض"^(١) و التعلق لديه يتم بين أقسام الكلام الثلاث: اسم و فعل و حرف بطرق معلومة.

ثم انتقل إلى الحديث عن أهمية علم البيان و مكانته بين العلوم، و تكلم عن أهمية الشعر و الأدب، معييا على الذين لا يدركون قيمتهما، و بين لهم بالحجة والبرهان بأن الذين لا يتذوقون الشعر لا يمكنهم تذوق كلام الله المعجز، و لن يتمكنوا من إدراك وجوه إعجاز القرآن إدراكا صحيحا سليما و على قواعد و أسس متينة.

و أشاد بفضل العلم و قيمته إذ قال عبد القاهر: "فإننا إذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف و تبين مواقعها من العظم و تعلم أي أحق منها بالتقديم و أسبق في استجابة التعظيم، وجدنا العلم أولاها بذلك"^(٢)، و بعد إشادته بقيمة العلم انتقل إلى الحديث عن فضل علم البيان إذ قال: "ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، و أبسق فرعا، و أحلى جنى و أعذب وردا، و أكرم نتاجا، و أنور سراجا، من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، و يصوغ الحلي، و يلفظ الدر، و ينفث السحر و يقري الشهد، و يريك بدائع من الزهر، و يجنيك الحلو من الثمر، و الذي لولاه تحفيه بالعلوم و عنايته بها، و تصويره إياها لبقيت كامنة مستورة"^(٣)، و أما حديثه عن من زهد في رواية الشعر و حفظه و ذم الاشتغال بعلمه و تتبعه^(٤)، فقد رد الإمام على دعواهم و أرائهم في الشعر و الشعراء فيرى عبد القاهر أن العلماء يعتمدون على أقوال الشعراء في تفسير القرآن و غريبه إذ يقول الإمام: "فما أرى

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تح ياسين الأيوبي: ٥٧.

^٢ - المصدر نفسه: ٦٤-٦٥.

^٣ - المصدر نفسه: ٦٠.

^٤ - المصدر نفسه: ٧٣.

عاقلا يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر و تهجينه و المنع من حفظه و روايته، و العلم بما فيه من بلاغة، و ما يختص به من أدب و حكمة، ذاك لأنه يلزم على قول هذا القول، أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس، وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن، و في غريبه، و غريب الحديث".^(١)

وأشار إلى ضرورة معرفة النحو وأصوله و رد على الذين ينتقصون من شأن النحو إذ قال: " إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، و أن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها ".^(٢)

و كان للفصاحة و البلاغة حظها الأوفر في مواضع كثيرة و متناثرة من كتاب "دلائل الإعجاز"، إذ يرى عبد القاهر الجرجاني أن فصاحة الألفاظ لا تظهر في معزلها عن سياق أو كلام، بل لا تختص الفصاحة في أفراد الكلمات بل في نظمها في الكلام، إذ يقول الإمام عبد القاهر: " و وجدت المعول على أن ههنا نظما وترتيبا، و تأليفا و تركيبا، و صياغة و تصويرا، و نسجا و تحبيرا، و أن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها"^(٣)، فالفصاحة لدى الكلمات يكسبها النظم لها، لا تكتسب الفصاحة للمفردات بمفردها خارج عن سياق أو نظم، إذ لخص عبد القاهر نظريته في الفصاحة إذ قال: "و جملة ما أردت أن أبينه لك الكلام في إعجاز القرآن أنه لا بد لكل كلام تستحسنه، و لفظا تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، و علة معقولة، و أن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، و على صحة ما ادعينا من ذلك دليل، و هو باب من العلم إذا أنت فتحتة اطلعت منه على فوائد جليلة، و معان شريفة، و رأيت له أثرا في الدين عظيمًا، و فائدة جسيمة، و وجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل، و إصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل".^(٤)

إن مدار موضوع كتاب "دلائل الإعجاز" يدور حول نظرية النظم و الإشارة إلى مضمونها، و إلى مواطن الإعجاز و عجائبه في كلام الله تعالى، فالإمام أتي

١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٨٦.

٢ - المصدر نفسه: ٨٦-٨٧.

٣ - المصدر نفسه: ٩١.

٤ - المصدر نفسه: ٩٥.

بشاهد من القرآن الكريم ليدلل على رؤيته في إعجاز القرآن التي تكمن في النظم، والشاهد قوله تعالى: "و قيل يارض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي، و غيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي و قيل بعدا للقوم الظالمين"^(١)، "فتجلى لك منها الإعجاز و بهرك الذي ترى و تسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض"^(٢)، فهذه الآية الكريمة رصفت ألفاظها رصفا شريفا و عظيما^(٣)، ثم يخلص الإمام في هذا الشأن أن "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، و لا هي من حيث كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة و خلافتها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ".^(٤)

فالنظم ليس ضم الشيء إلى شيء على طريقة مخصوصة، بل النظم هو نظم الكلمات و ترتيبها حسب ترتيب معانيها في النفس إذ يقول الإمام: "و أما نظم الكلم، فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، و ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"^(٥)، فيرى الإمام أن الألفاظ تابعة للمعاني، و بالتالي فالألفاظ تتبع المعاني في الترتيب أي ترتيب الكلمات في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس إذ يقول عبد القاهر "أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، و أن الكلام يترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس".^(٦)

و رد بقوة و شدة على الذين يرجعون الفضل في جودة الكلام و حسنه و فضل معانيه إلى الألفاظ، و أورد أن الصفات التي أطلقوها على الألفاظ إنما أخذت من معانيها^(٧)، و كما هو معلوم عند أهل اللغة أن عناصر الكلام المقبولة لدى السامع هي ثلاث: اللفظ و المعنى، و النظم، و اللفظ مجموع الحروف و الكلمات التي تنطق بها،

^١ - هود: ٤٤.

^٢ - عبد القاهر: الدلائل: ٩٨.

^٣ - قال الإمام القرطبي و هو يشرح هذه الآية: "لو فُتِش كلام العرب و العجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، و بلاغة رصفها، و اشتغال المعاني فيها"، تفسير القرطبي ج ٩/٤٠ عن المحقق "الأيوبي" الهامش.

^٤ - عبد القاهر: الدلائل: ٩٩.

^٥ - المصدر نفسه: ١٠٢.

^٦ - المصدر نفسه: ١٠٦.

^٧ - المصدر نفسه: ١١٢.

و أما المعنى فهو تلك الصور المجردة في نفوسنا، فاللفظ قالب للمعنى، و المعنى هو المعبر عنه و اللفظ هو المعبر به، لكن الكلام لا يتوقف عند هذين العنصرين فقط بل يجب توفر عنصر النظم و الذي عرفناه بأنه توخي معاني النحو و أصوله و أحكامه في الكلم، و جعل الكلم بعضه بسبب من بعض.

كما تعرض الإمام عبد القاهر إلى الصور البيانية، فبدأ بالكناية إذ عرفها بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيؤتى به اليه ويجعله دليلاً عليه"^(١) و أما المجاز فقال عنه: "أن كل لفظ نقل عن موضوعه"^(٢) و الاستعارة بقوله: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه و تظهره، و تجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه، و تجريه عليه"^(٣)، ثم تحدث عن ترجيح الكناية و الاستعارة و التمثيل على الحقيقة إذ قال الإمام: "قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، و أن الاستعارة مزينة و فضلاً و أن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة"^(٤)

إن الحد الذي حد به الإمام النظم هو "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك تخل بشيء منها"^(٥)، و بمعنى آخر إن النظم يعتمد على العلاقات التي تقوم بين الألفاظ و مراعاة النحو و أحكامه، و المقصود بأحكام النحو و معانيه تلك المعاني التي تحمل نماذج من التركيب و اختيار الأقسام الشكلية، فالمعنى النحوي ليس المعنى المرادف للفظ و رديفه، و ليست المعاني المعجمية، إذ قال الإمام عبد القاهر في معاني النحو معرفاً إياها: "إن الألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، و لكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد"^(٦)، و يوضح فكرته التي دافع عنها بقوله: "إنك أيها المتكلم لست تقصد

١- المصدر نفسه: ١١٣.

٢- المصدر نفسه: ١١٣.

٣- المصدر نفسه: ١١٤.

٤- المصدر نفسه: ١١٧.

٥- المصدر نفسه: ١٢٧.

٦- المصدر نفسه: ٤٩٥.

أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول "خرج زيد" لتعلمه معنى "خرج" في اللغة و معنى "زيد"^(١).

و الدليل الآخر هو أنك لا تأتي بكلام لا يعرفه السامع أو أن تتلفظ بألفاظ غير معلومة في ذهن السامع كما هي معروفة عند المجتمع حيث يقول عبد القاهر: "ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف"^(٢).

و سنأخذ مثالا^(٣) لكي نوضح فكرة النظم "قد يسألني أستاذي عن حفظ سورة البقرة و سورة آل عمران، فبماذا أجيبه يا ترى إذ كنت لم أحفظ سوى سورة البقرة ؟ فيمكنني أن أجيب بـ "حفظت سورة البقرة" و يمكنني أن أجيب كذلك بـ: "سورة البقرة حفظت" و قد يسألك سائل آخر: هل حفظت سورة البقرة ؟ يمكنني أن أجيبه بالجملتين السابقتين، و لكن السؤال المطروح هنا هو: أمعنى الجملتين سواء ؟ و قبل أن نجيب عن السؤال يجب أن نعرف هل الجملتان السابقتان لهما نفس المعنى ؟ فنجد أنهما تختلفان في ذلك، لأن السؤال الأول كان عن حفظ السورتين معا، و الذي أقررتة في نفسي أنني لم أحفظ إلا سورة البقرة، و هذا الذي أريد أن أتلفظ به، أما السؤال الثاني: فهو: هل حفظت سورة البقرة ؟ و الجواب أنني حفظتها، و هذا الذي أريد أن أخبر به السائل ففي هذا المثال عندما اختلف المعنيان فوجب اختلاف الموقع في الألفاظ، فالإجابة الصحيحة عن السؤال الأول: "سورة البقرة حفظت" و عن السؤال الثاني: "حفظت سورة البقرة" ففي الجملة الأولى قدم المفعول به عن الفعل والفاعل لغرض القصر و الاختصاص، و معنى هذا أنني حفظت إلا هذه السورة، فلم أحفظ سورة آل عمران، أما الجملة الثانية "حفظت سورة البقرة" فإن هذا هو الذي يتسق مع السؤال، و لايدل على أنني لم أحفظ غير هذه السورة، فدخل على هاتين الجملتين وجه من وجوه النظم و هو التقديم و التأخير".

فالنظم لدى عبد القاهر هو ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس، و قد حرص الإمام عبد القاهر على توضيح أمرين اثنين:

^١ - المصدر نفسه: ٣٨٨.

^٢ - المصدر نفسه: ٣٨٨.

^٣ - عباس سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم: ٧٠.

الأول: الرد على الذين يزعمون أن الفضيلة للألفاظ وحدها، إذ لا ميزة للألفاظ من حيث هي أصوات مسموعة دون مراعاة للسياق المنتظم فيه.

الثاني: الحديث عن المعاني النحوية و ربطها بنظرية النظم.

فنظرية النظم عند عبد القاهر تقوم على:

١- ترتيب معاني الألفاظ في النظم وفق ترتيبها في النفس.

٢- هذا الترتيب تراعى فيه المعاني النحوية ويتم وفق أصولها و أحكامها.

٣- هذا الترتيب موافق لقضية العقل.^(١)

و قد تناول الإمام عبد القاهر النظم و وقف عند أسرارها و أنه يتوخى معاني النحو وأحكامه و أصوله في مواضع متفرقة و كثيرة من كتابه "الدلائل".^(٢)

و تردد في كتاب دلائل الإعجاز ألفاظ الفصاحة و البلاغة و البراعة و البيان بمدلول واحد لتدل على الأسلوب الفصيح أو البليغ^(٣)، إذ يقول عبد القاهر: "البلاغة والفصاحة و البيان و البراعة: من المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات، و سائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعته و الصفة، و ينسب فيه الفضل و المزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزین، و آنق و أعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنتال الحظ الأوفر من ميل القلوب، و أولى بأن تطلق لسان الحامد، و تطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال: غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به و أكشف عنه، و أتم له، و أخرى بأن يكسبه نبلا، و يظهر فيه مزية".^(٤)

و من الأدلة التي اعتمدها الإمام في الرد على أنصار اللفظ أنه قال: "إنه لو كانت الفصاحة للفظ وحده، لكان ينبغي أن لا تفارقه الفصاحة في أي موضع، والأمر

^١ - سعد سليمان حمودة: البلاغة العربية: ١٦٣.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ٧٥، ١٢٧، ١٣٢، ٣١٦، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٩، ٤٨٥، ١٩٥.

^٣ - سعد سليمان حمودة: البلاغة العربية: ١٦٤.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٩٧.

ليس كذلك فكم من كلمة تغني الأدباء بفصاحتها في موضع، و لكنهم استرذلوها في مواضع أخرى كم من كلمة حسنت في بيت من شعر و لكنها قبحت في آخر".^(١)

« والناس ليس سواء في تذوق فصاحة الكلمات، فلو كانت الفصاحة صفة لكلمة لما جاز أن تفارقها أبداً، فهي صفة لا تدرك بالسمع، و إنما تدرك بالقلب، و نحن نعلم أن المعاني هي التي تدرك القلوب و ليست الألفاظ، و أما قولهم كلام فصيح فإنما يعتقدون أنه متلائم مع المعنى الذي جيء به من أجله». ^(٢)

و لو كانت الفصاحة للألفاظ وحدها لما كانت هناك فرق بين الجمل المتفقة في الكلمات، المختلفة في النظم.

و منه نلاحظ أن لا مفاضلة بين اللفظ و المعنى لأنهما عبارة عن شيء واحد يلزمهما هو النظم، و لعل أبين مثال نستطيع أن نورده في هذا السياق لنبين علاقة النظم بفصاحة الكلام، و بلاغته، تحليل الإمام عبد القاهر لقوله تعالى: "وَأَشْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيْبًا"^(٣)، إذ نجد أن معنى الشمول لا يستفاد إذا أسند الفعل إلى ما هو له في

الأصل: اشتعل الشيب في الرأس أو اشتعل شيب الرأس، فتحويل صيغة الجملة إلى التمييز المحول عن الفاعل هو الذي أفاد هذا الشمول و العموم في المعنى، و هو معنى لا يستفاد إلى بمجيء الآية على هذا النحو من النسق و الترتيب و التأليف الذي روعي فيه الفروق الدقيقة بين معاني النحو و أحكامه و مقتضياته، و هذا المعنى أيضا لا تدل عليه الاستعارة و إنما يستفاد من المعنى النحوي الذي أفاده أسلوب التمييز".^(٤)

قد أنكر الإمام عبد القاهر أن تعود الفصاحة إلى اللفظ و كذلك أن تعود إلى المعنى و إنما تعود إلى النظم و حسن الصياغة.

^١ - المصدر نفسه: تح محمود شاكر: ٤٠٢.

^٢ - المصدر نفسه: محمود شاكر: ٤٠٧.

^٣ - سورة مريم: الآية ٠٤.

^٤ - سعد سليمان حمودة: البلاغة العربية: ٧٤-٧٥.

و في القسم الثاني من كتابه "دلائل الإعجاز" تناول الإمام عبد القاهر تعريف النظم وربطه بعلم النحو وأصوله وقواعده، ثم فصل الإمام أبواب النظم ووجوهه^(١) فتحدث عن الخبر ووجوهه وفروقه وأنواعه فيأتي مفردا وجملة وشبه جملة ثم تطرق إلى أسلوب الشرط والجزاء ووجوهه وفروقه ثم إلى الحال وأنواعه بأنه يأتي مفردا وجملة فعلية أو اسمية وقد تكون مؤكدة بـ "قد" وأن يأتي فعل جملة الحال ماضيا ويأتي مضارعا ثم تطرق إلى أسلوب النفي وأدواته ومعاني حروفه مثلا "ما" نفي الحال و"لا" نفي الاستقبال، وأشار إلى مواضع الوصل والفصل ومعاني حروف العطف والفروق بينها مثل الواو التي تفيد الربط والجمع دون ترتيب والفاء تفيد الترتيب والتعقيب وثم تفيد التراخي وهكذا، ثم انتقل إلى مبحث التعريف والتذكير والتقديم والتأخير والحذف والذكر. باختصار تطرق الامام في هذا المقطع إلى مباحث علم المعاني وربط ذلك كله بنظرية النظم.

و يعقد الإمام عبد القاهر فصولا تطبيقية يصور نظريته في علم المعاني، وبدأ بالتقديم و التأخير، و رأى بأنهما يأتیان لعل بيانية و مقاصد نفسية لدى المتكلم، لكنه عاب على النحويين الذين لا يتغلغلون في أعماق هذا النسق من التركيب و يرون أي النحاة بأن التقديم و التأخير على قسمين أحيانا يفيد و أحيانا أخرى لا يفيد، و عرض لنا الإمام أمثلة كثيرة تحمل أسراراً بلاغية في التقديم و التأخير، قوله تعالى: "قَالُوا

ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلٰهِنَا يَا بَرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا" (٦٢) إذ قدم الضمير

"أنت" عن الفعل "فعلت" و لم يقدم الفعل عن الضمير الفاعل، لأن السبب في ذلك يكمن في تقديم ما هو مشكوك فيه، أما الشيء المتيقن منه و المؤكد فلا يجوز أن يقدم، فإذا كان الشك في الاسم قدمناه، و أما إذا كان الشك في الفاعل قدمناه على الاسم، إن سيدنا إبراهيم عليه السلام أجاب بما يدل على أنهم سألوا عنه و هو "الفاعل" و لو كان تقريرهم له بالفعل لا بالضمير كان الجواب "فعلت" أو "لم أفعل"، و الشيء نفسه يطبق على المثال التالي: أنك سألت شاعرا "أأنت قلت هذا

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٩٧.

^٢ - الأنبياء: ٦٢.

الشعر ؟"، مقدما الضمير على الفعل كان الشك في قائل الشعر أهو المخاطب أم غيره، أما الشعر فلا شك فيه، و إذا سألته: "أقلت هذا الشعر ؟" كان الشك في الفعل نفسه و هل نظم الشعر حقا أو لم ينظمه.

و قسم الإمام عبد القاهر التقديم إلى قسمين^(١): "أحدهما: التقديم على نية التأخير، و تقديم لا على نية التأخير،

فالأول: يكون في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، و في جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذ قدمته على المبتدأ، و المفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك "منطلق زيد" و "ضرب عمرا زيد"، معلوم أن "منطلق" و "عمرا" لم يخرجوا بالتقديم، عما كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ و مرفوعا بذلك، و كون ذلك مفعولا و منصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت.

أما الثاني: إذ ينقل فيه الشيء من حكم إلى حكم و يجعل في باب غير بابه، و إعراب غير إعرابه، و ذلك مثل أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ أو خبرا، فتقدم هذا على ذاك، و ذاك على هذا تارة أخرى، كنحو ما تصنع بـ "زيد" و "المنطلق" في نحو "زيد المنطلق"، و "المنطلق زيد" بحيث لم يقدم "المنطلق" على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبرا للمبتدأ كما كان قبلا، بل على أن ينتقل عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، و كذلك لم يؤخر "زيد" على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن يخرج عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا".

و تناول الإمام في مصنفه "الدلائل" مباحث أخرى في علم المعاني و هي الحذف و الذكر، و الوصل و الفصل و التعريف و التنكير و في فروق الخبر و أنواع الحال و مباحث الشرط و الجزاء، و القصر و الاختصاص.

و سنتناول مبحث الوصل و الفصل باختصار لدى الإمام عبد القاهر لنعرف كيفية معالجة الإمام لموضوعات علم النحو و مدى الاستفادة في استخراج الأغراض البلاغية.

١- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٤٨.

تحدث عبد القاهر عن العطف مفردا و جملة، و يذكر أن "فائدة العطف في المفردات أن يشرك الثاني في إعراب الأول و أنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم إعرابه نحو المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، و المعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو شريك له في ذلك".^(١)

أما الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين:

أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، و إذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد، و كان وجه الحاجة إلى "الواو" ظاهرا و الإشراك بها في الحكم موجودا، فإذا قلت: مررت برجل خلقه حسن، و خلقه قبيح كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، و ذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة.

و الذي يشكل أمره هو الضرب الثاني: و ذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: "زيد قائم و عمرو قاعد و العلم حسن والجهل قبيح" لا سبيل إلى أن ندعى أن "الواو" أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه.

و إذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف و المغزى منه و لم لم يستو الحال بين أن تعطف و بين أن تدع العطف فتقول: زيد قائم، عمرو قاعد بعد أن لا يكون هنا أمر معقول يؤدي بالعاطف ليشرك بين الأولى و بين الثانية فيه".^(٢)

ثم ينتقل الإمام إلى ذكر معاني حروف العطف مثل كون "الفاء" مفيدة للترتيب من غير تراخ، و "ثم" توجبه مع تراخ، و "أو" تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطف بواحد منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة".^(٣)

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز:

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٢٣٩-٢٤٠.

^٣ - عبد القاهر: الدلائل: ٢٤٠.

و يذكر أن "الواو" ليس لها من معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول، فإذا قلت: جاءني زيد و عمرو لم تقد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتته لزيد و الجمع بينه و بينه، و لا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه، و إذا كان ذلك كذلك، و لم يكن معنا في قولنا: "زيد قائم و عمرو قاعد" معنى نزع أن "الواو" أشركت بين هاتين الجملتين فيه، تثبت إشكال المسألة.^(١)

و يجمال الإمام عبد القاهر الجمل و أحوالها فصلا و وصلا في ثلاثة أضرب:^(٢)
أ- «جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، و التأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها -لو عطف- بعطف الشيء على نفسه.
ب- جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلى أنه يشاركه في حكم، و يدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه فيكون حقها العطف.

ج- و جملة ليست من الحاليين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه و لا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلى بأمر ينفرد به، و يكون ذكر الذي قبله و ترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه و بينه رأسا، و حق هذا ترك العطف البتة، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية، و العطف لما هو واسطة بين الأمرين، و كان له حال بين الحاليين» و أما الفصل فهو ترك العطف بـ "الواو"، و هي أن تكون هناك جملتان، و كانت الثانية متصلة بالأولى اتصالا وثيقا، كأن تكون لها تأكيدا أو بدلا لأوجب فصلها عن الثانية كقوله تعالى: "الْمَرْءُ ذَلِكَ الْكَتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"^(٣)،

إذ جاءت كل جملة من هذه الجمل غير معطوفة على سابقتها، لكون بينها اتفاقا

^١ - المصدر نفسه: ٢٤٠.

^٢ - المصدر نفسه: ٢٥٤.

^٣ - البقرة: ١-٢.

واتحادا في المعنى و كذلك في قوله تعالى: "مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"^(١)،

فجاءت الجملة الثانية "إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" مفصولة غير معطوفة، لأن كونه ليس

بشرا ليس له معنى غير أنه ملك، ألا ترى إذ قلنا عن شخص ما: "إنه تقي إنه يؤدي الصلوات إنه لا يكذب"، لا يجوز أن نعطف هذه الجمل بعضها على بعض لأن العطف يقتضي التغاير و الاختلاف و التباين، و لو قيل عنه: "إنه تقي و إنه يؤدي الصلوات و إنه لا يكذب" لاختلف المعنى اختلافا لكانت التقوى غير تأدية الصلوات و لكانت التقوى غير الصدق.

كذلك تناول الإمام القصر و الاختصاص، و القرآن الكريم مليء بالآيات التي تبين سر النظم في هذا الأسلوب مثل قوله تعالى: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"^(٢) و قوله تعالى: "فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ" ^(٣) و قوله

تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"^(٤)، فمعنى الآية إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله

واليوم الآخر أي أن المؤمنين وحدهم الذين يعمرون مساجد الله لا غيرهم و لو قيل "إنما يعمر المؤمنون مساجد الله" لكان المعنى أن المؤمنين يعمرون مساجد الله، ولا يعمرون شيئا آخر و هذا غير صحيح، و قوله تعالى: "إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ" معناه عليك

البلاغ فحسب، أما غيره من الحساب فهو لله وحده و لو قال إنما البلاغ عليك، لكان المعنى أنك تبلغ دعوة الله وحدك، و لا يجوز لأحد غيرك أن يبلغ هذه الدعوة، و هذا ليس صحيحا لأن المؤمنين جميعا واجب عليهم الدعوة و التبليغ، و كذلك قوله تعالى:

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"، فالمؤمنون إخوة لا متقاطعون و لا متشاجرون، و لو قيل إنما

١- يوسف: ٣١.

٢- التوبة: ١٨.

٣- الرعد: ٤٠.

٤- الحجرات: ١٠.

الإخوة المؤمنون لكان المعنى أن رابطة الأخوة لا تكون إلا للمؤمنين وحدهم و هذا غير صحيح، فإن الأخوة قد تكون بين المؤمنين و قد تكون بين غيرهم.

و يسعى عبد القاهر بجهد جهيد لإقناع معارضيه بنظريته في الإعجاز التي ربطها بالنظم، إذ كان الإمام يعيد النظر فيما ذهب إليه و في الأخير تأكد أنه وصل إلى هدفه و أقنع الناس بنظريته إذ قال: « قد بلغنا في مداواة الناس من داءهم و علاج الفساد الذي عرض في آرائهم كل مبلغ و انتهينا إلى كل غاية و أخذ نابهم عن المجاهل التي كانوا يتعسفون فيها إلى السنن اللاحب و نقلناهم عن الآجن المطروق النمير الذي يشفي غليل الشارب»^(١)

إذن سر الإعجاز عند عبد القاهر يعود إلى النظم، فالإمام قدم و شرح أوجه الإعجاز و ردها جميعها إلى النظم، و النظم يعتمد أساسا على معاني النحو و توحيها في أصوله -علم النحو- و أحكامه و طرقه، فنظرية النظم تعد ثورة لغوية و بلاغية في عصر الجرجاني ثارت على باقي النظريات التي اهتمت بالدراسات البلاغية. لقد سلك الإمام عبد القاهر أبوابا عديدة ليثبت بها صحة نظريته و دقتها، و لم يترك منفذا أو بابا إلا و تطرق إليه.

إن الإمام عبد القاهر قضى على النظرية الشائعة في الفكر البلاغي في ذلك العهد -نظرية المعنى و اللفظ - و وظف المعاني النحوية لخدمة المعاني العامة للكلام و قد استطاع الإمام بنفاذ بصيرته أن يدقق في الفروق الدقيقة بين المعاني النحوية واستعمالها استعمالا دقيقا يراعى فيها مقتضيات النظم.

المبحث الرابع: تأثير نظرية النظم على آرائه النحوية

كانت الدراسات النحوية قبل الإمام عبد القاهر تهتم بنظام الكلمات و أواخرها من حركات إعرابية، إلا ما جاء في بعض الدراسات ككتاب سيبويه الذي احتوى على بعض المسائل من مثل قوله: "ما تفرقته بين الكلام المستقيم الحسن و المستقيم القبيح"^(٢)، و أشار أبو الهلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) إلا أن العرب تقدم الذي بيانه وتحدث عن الابتداء بالأعرف الذي جاء في "الدلائل" و طبقه في كتاب "كان"، قال

(١) عبد القاهر: الدلائل: ٤٣٤.

(٢) سيبويه: الكتاب تح: عبد السلام هارون ٢٥/١.

«ويصح تقديم خبر كان على اسمها و يصح تأخيرها بحسب المعنى الذي يريده المتكلم كما يصح في ذلك الفاعل و المفعول»^(١)، و ذكر باب "ما يحذف فيه الفعل لكثرتة في كلامهم"^(٢) فقد أدرك سيبويه قيمة تنظيم الكلم في المعنى الذي هو قوام النحو، وشرح الوجه الذي يستقيم عليه التعبير ليبلغ هدفه".^(٣)

و ضرب لنا مثلاً بقوله "تقول العرب: (حمدا لله و ثناء عليه) و (حمد لله و ثناء عليه) الأول تقوله قد وقع لك ما يوجب الحمد و الثاني للإبانة على حالك التي أنت عليها، فأنت ترى أسلوبين يفترقان في مواضع الاستعمال، و لا يختلفان في التركيب و لا في صورة النطق، إلا في ناحية النصب و الرفع"^(٤)، و كذا يفعل سيبويه في كثير مما عرض له من أساليب النفي و الاستفهام و الشرط و التقديم و الحذف و هذه الإشارة مما عرض التي تظن لها سيبويه المتعلقة بأن هناك علاقة بين تنظيم الكلمات و اختلاف استعمالها و صورها بالمعنى الذي يقصده المتكلم، نجدها متمثلة عند نحاة آخرين مثل المبرد الذي قال: "إذا قلت جاءني عبد الله الفاسق الخبيث كنت عرفته بالفسق و الخبيث"^(٥).

و هذا الاستعمال في تنظيم الكلم أبلغ في باب الذم من أن تذكر الصفة مقام الاسم فهذه الملاحظات المتناثرة هنا و هناك توحى لنا بفكرة مفادها أن هناك رغبة لدى النحاة و البلاغيين في اتجاه نحو معاني الأساليب و جوهر التراكيب باختلاف صورها و استعمالاتها.

و قد برز لدى ابن جني ما يشير إلى اهتمام العرب بالمعاني على حساب الألفاظ إذ يقول ابن جني في باب الرد على ما ادعى على العرب على عنايتها بالألفاظ و إغفالها المعاني "اعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربية، و أكرمها و أعلاها و أنزهها، و إذا تأملته عرفت منه و به ما يؤنقك، و يذهب في الاستحسان

^١ - ناصف مصطفى: نظرية المعنى في النقد العربي: ٢١.

^٢ - سيبويه: الكتاب: ٢٨٠/١.

^٣ - ناصف مصطفى: نظرية المعنى في النقد العربي: ٢١.

^٤ - المرجع نفسه: ٢١.

^٥ - المرجع نفسه: ٢٢.

له كل مذهب بك، و ذلك أن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها، و تهذيبها وتراعيها، و تلاحظ أحكامها بالشعر تارة و بالخطب تارة أخرى ... فإن المعاني أقوى عندها، و أكرم عليها و أفخم قدرا في نفوسها".^(١)

و اشتد الصراع و احتدم بين الفلاسفة المتكلمين و النحاة حول تفسير نظام الكلمات فقد نسب إلى النحاة أنهم يعنون بالألفاظ على غرار المعاني، و هذا مما أدى إلى تشجيع اللغويين بالعناية أكثر بالفلسفة اللغوية والبحث عن المعنى في كل قالب لفظي، فكل بحث خاص بالنحو و اللغة إنما هو بحث في الدلالة كما اعتقد ابن جني.

واعتقد بعض النحاة خلال القرن الرابع للهجرة "أن النحو منطق مسلوخ من العربية"^(٢) و كانت مسائل تنظيم الكلام مجالا شاسعا للدفاع عن مكان الدراسات النحوية و اللغوية حتى يتضح للباحث و المتمعن في المباحث الفلسفية و المنطقية المعنية بالدلالات، فمعرفة أسرار التراكيب اللغوية و دقائقها لا تعتبر ضربا من التكلف اللفظي كما يعتقد خصوم هذه الدراسات، بل إن لمثل هذه الدراسة دلالة عميقة، تطلعننا على فلسفة خاصة للغة، فالتراكيب تطلع الدراسات للنحو على إقامة نظام يكشف أسرار اللغة العربية و استعمالاتها.

لقد كانت مسألة تنظيم الكلمات تشغل المتحدثين عن بلاغة القرآن على وجه الخصوص، و راح الكل يدرس القرآن من مختلف المستويات اللغوية للكشف عن أسرار كتاب الله، فتعجبوا من العبارة القرآنية، و ما تحمله من معان متعددة، و من ثم شاعت فكرة النظم على الرغم من اختلاف مقاصد الباحثين من هذه الفكرة، فاتجه الباحثون يفكرون طويلا في هذا المنحى، و أخذوا يبحثون عن نظم الكلمات وصورها اللغوية التي جعلت المعاني الإلهية في متناول العقول.

و عود على بدء نعرض خلاصة موقف عبد القاهر من بلاغة العبارة القرآنية، لقد رفض -كما أشرنا سابقا- القول بالصرف و لم يجد فيها ما يدعو إلى طول جدال و نقاش، و اقتصر موقفه في فكرة واحدة وهي أن القرآن الكريم معجز بنظمه إذ يقول: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، و خصائص صادفوها في سياق لفظه، و بدائع

^١ - ابن جني: الخصائص: تج: محمد علي النجار: ٢١٥/١.

^٢ - ناصف مصطفى: نظرية المعنى في النقد العربي: ٢٢.

راعتهم من مبادئ آيه و مقاطعها ... فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكرها شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتناما و اتقاناً و إحكاماً".^(١)

إن ظهور فكرة النظم و تبلورها في ذهن الإمام عبد القاهر يعد عاملاً أساسياً و جوهرياً في الإدلاء بآراء قيمة في مجال الدراسات النحوية، إذ اعتبر أن القرآن الكريم مفيد في تبیین و اكتشاف أصول و قواعد عامة يحتاج إليها دارس اللغة الذي لا يجب أن يقف عند الآفاق الموجودة في كتب النحو المتقدمة، تصور عبد القاهر النحو تصوراً متميزاً و مثيراً، فلقد رأى أن الكشف الحقيقي للغة يحتاج من الدارس أن يشحذ "فقه المعنى"^(٢)، فلقد رأى القدماء يعنون بالشكل اللفظي للغة دون معناه الذي يعتبر مدار اللغة التي تمشي عليها، فهو يهتم بالنحو لأنه يراه الأساس في النظم بل يقيم النظم و التأليف بمعاني النحو و أحكامه و وجوهه، فهو يرد على الذين لا يهتمون بالنحو و تعلمه بقوله: "و أما زهدهم في النحو، و احتقارهم له، و إصغارهم أمره و تهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها و أن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون الإعراب هو المستخرج و أنه المعيار الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه".^(٣)

فدراسته الإمام عبد القاهر ورؤيته للنحو تختلف عن نظرة القدماء، لقد كانت اللغة في "دلائل الإعجاز" عبارة عن ظواهر تركيبية كالقديم و التأخير و التنكير و التعريف، و الحذف و الذكر، و الوصل و الفصل، فبحثه بحث فلسفي عقلي في ميدان اللغة و فروعها.

وكان الاعتقاد السائد عند أغلب البلاغيين أن الإمام عبد القاهر عالم بلاغي وواضع أسس علم البلاغة، و هذا الأمر لا أحد ينكره، إلا أن الأمر الذي ينبغي أن ننوه إليه هو أن الإمام كان عالماً في اللغة العربية و نحوها، فقد قام الشيخ بجهد

١- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٩٤.

٢- ناصف مصطفى: نظرية المعنى في النقد العربي: ٢٢.

٣- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ٨٦/٨٧.

عظيم في هذا الحقل المعرفي اللغوي، يقول فيه غنيمي هلال: "إن ما أتى به عبد القاهر في باب النحو في نظرية النظم شيء عظيم ثم أشاد الباحث هلال بأن عبد القاهر توصل إلى نتائج عالمية ذات قيمة خالدة"^(١) لقد رسم عبد القاهر لنفسه طريقا في "دلائل الإعجاز" للبحث النحوي، واهتدى لرؤية جديدة لفهم النحو وأحكامه وأأسسه.

فقد تجاوز الإمام الدراسات التقليدية للنحو التي كانت سائدة المتجسدة في علامات إعرابية و لزوم أواخر الكلم"^(٢)، بل نظر إلى النحو نظرة جديدة تعتمد على نظريته المسماة بالنظم، الذي يعتبره صاحبه إنه السبيل الأمثل للإيضاح معاني الكلم وفهمه، و ذلك بإتباع قوانين النظم و أصوله، و أن المتكلم إذا لم يلتزم بأسس النظم كان كلامه غير مفهوم، و لا يبلغ مراده للسامع.

ألم الشيخ عبد القاهر بالنحو إماما تاما، وعرف باتجاهين مختلفين في دراسته للنحو، فالإتجاه الأول يعرف بالاتجاه التقليدي، ألف فيه كتب أبرزها "العوامل المائة"، و يعود السبب إلى تأليف هذا الكتاب إلى شيوع فكرة العامل التي تفتن إليها الأوائل فأدركوا خطورتها، أما عبد القاهر فقد شرح و فصل فيه القول، وكان هدفه تيسير النحو و تبسيطه أما "أبعاد نظريته في العامل ثلاث: عامل ومعمول فعمل"^(٣) و رد على الذين اعتبروا النحو في الكلام كالملح في الطعام، قليله يغني وكثيره يضر فقال: "أما ما يتخيلونه من أن معنى ذلك أن القليل من النحو يغني وأن الكثير منه يفسد الكلام كما يفسد الملح الطعام إذ كثر فيه"^(٤)، فوصف هذا الأمر بأنه وهم و ليس له أي دليل يمكن أن يستدل عليه الباحث و قال الإمام: "إن الكلام لا يستقيم و لا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه"^(٥)، كما نستنتج أن الإمام عبد القاهر يرفض بأي حال أن تكون أحكام النحو يمكنها أن تزيد في الكلام كما يزيد الملح في الطعام، لأن مراعاة الكلام و لزومه

^١ - البدر اوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: ٠٦.

^٢ - المرجع نفسه: ٠٦.

^٣ - المرجع نفسه: ٤٤.

^٤ - المرجع نفسه: ٤٤.

^٥ - المرجع نفسه: ٤٤.

على أحكام النحو يجعله سليماً صحيحاً و ابتعاده عن معاني النحو و أحكامه يجعله فاسداً، إن هناك ترتيباً خاصاً في الكلام العربي يراعي أحكام النحو: "فإن وجد هذا الترتيب يصلح النحو في الكلام، و إن لم يوجد فهو فاسد و سامعه لم ينتفع به بل سيأخذه لوقوع في عمية".^(١)

و نخلص إلى أنه لا يمكن اعتبار النحو و أحكامه إذا كثر في الكلام فهو مذموم، و إذا قل فهو محمود، فعلم النحو له دوره في الإبلاغ و فهم معاني الكلام، فاللغة عند الإمام عبد القاهر ليست ألفاظاً فقط بل هي مجموعة من العلاقات و أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون النحو هو الذي يفتحها، و أن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها".^(٢)

أما الاتجاه الثاني سلكه عبد القاهر في النحو فهو يتمثل في نظرية النظم التي هي توحي معاني النحو و معرفة وجوهه و أحكامه، أما الإعراب فقد تحدث عنه فلم ينكره بل عده جانباً من جوانب النحو، و هو تابع له، إلا أنه ليس لأحد أن يتوقف فيه على الآخر، إذ يقول: "و من ثم لا تفاضل فيه، فليس لأحد الفضل في أن يعرف الفاعل مرفوع و المفعول به منصوب بأكثر من صاحبه، و إنما يكون الفضل في الوضع الذي أوجب هذا الرفع أو أوجب هذا النصب".^(٣)

و المقصود أنه تابع بأنه تابع للترتيب الخاص للكلمات داخل التركيب و يعتمد النظم على حرية المستعمل للغة في التعديل و التبديل داخل التركيب وفقاً للوجوه المختلفة، التي يمعن فيها النظر في توحي معاني النحو.

و صفاوة القول: إن كنه نظرية عبد القاهر في إعجاز القرآن الكريم تكمن في مراعاة أحكام النحو و أصوله و معانيه و وجوهه إذ يقول.^(٤)

و قد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توحيه

^١ - البدر اوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: ٤٥.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٨٧.

^٣ - المصدر نفسه: ٣٥٨.

^٤ - المصدر نفسه: ١٥، البيت للإمام عبد القاهر الجرجاني.

فالإمام قدم الكثير في هذا الموضوع الذي شغل عقول النحاة و البلاغيين من معاصريه و الذين جاءوا بعده، فنظرية النظم تعد ثورة لغوية و بلاغية قام بها عبد القاهر على باقي الأفكار التي كانت سائدة في عصره و هي مزيج بين علمين شامخين من علوم العربية و هم البلاغة و النحو، و أنهما علم واحد لدى الإمام عبد القاهر، بل يرى أن النحو فرع من البلاغة.

المبحث الخامس: أثر "دلائل الإعجاز" في الدرس البلاغي

عد الإمام عبد القاهر قمة البلاغة العربية و إمام من أئمة النحو العربي، و هذا الأمر يعود إلى ما قدمه في كتابه "الدلائل" من آراء و أفكار في الحقل البلاغي على الرغم من أن هناك من سبق عبد القاهر الجرجاني بإسهامات بلاغية لكنها كانت متناثرة، فجمعها عبد القاهر في مؤلفه "دلائل الإعجاز" و جعلها ترتبط فيما بينها، بل كان أثره عظيما مما أدى بالبلاغيين و النقاد الذين جاءوا بعده إلى دراسة الكتاب دراسة متمعنة^(١) و يعتبر الزمخشري^(٢) أول من تعرض للكتاب بالدراسة والتحليل^(٣) و بنى عليه كتابه "الكشاف" الذي يعتبر -الكتاب- مصدرا بلاغيا، كما أن المتمعن للكشاف في مقدمته يلاحظ أن الزمخشري قد اعتمد على بعض آراء عبد القاهر في فنون البلاغة، و رأى بعض الباحثين أن الكشاف بمثابة الجانب التطبيقي لدلائل الإعجاز^(٤).

لقد كان دلائل الإعجاز مادة خامة للعلماء بعد عبد القاهر الجرجاني و من بينهم الرازي فخر الدين (ت ٦٠٦ هـ) الذي ألف كتابه الموسوم نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز^(٥) الذي يعد تلخيصا و شرحا لكتب "الدلائل" لأن علماء البلاغة أجمعوا على أن "دلائل" عبد القاهر هو أول كتاب لتقعيد البلاغة و تقنينها وضبط قضايها.

^١ - الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن عمر بن أحمد الزمخشري لغوي مفسر بلاغي ولد ٤٦٧ هـ و توفي ٥٣٨ هـ، و أهم كتبه "تفسير الكشاف".

^٢ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٠٦.

^٣ - المرجع نفسه: ٣٠٦.

^٤ - المرجع نفسه: ٣٠٦.

لقد تعددت و اختلفت دراسات البلاغيين لكتاب عبد القاهر منهم من شرح
ومنهم من لخص و منهم من أضاف و علق وهكذا، و من الذين لخصوا
الكتاب

أبو المظفر ناصر بن أبي المكارم المطرزي (ت ٦١٠ هـ) الذي لخص بلاغة عبد
القاهر و آراءه في كتابه "الإيضاح" في شرح مقامات الحريري^(١)

و غير قليل من اختصر "الدلائل" من البلاغيين، و هذا لما وجد في تكرار
الأفكار و لاسيما فيما يخص علم البيان و البديع، فمثلا الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) الذي
اختصر الكتاب و سماه "التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن".^(٢)

و كان هذا الكتاب مختصا في علم البيان إذ يتكلم الزملكاني لدى عبد القاهر
"و لم أجد فيه من المصنفات إلا القليل مع أنها مشحونة بالقال و القيل، و من أجمعها
كتاب "الدلائل" للإمام العالم الحبر النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني، فإنه
جمع فأوعى، و قال فأوعى، فلقد فك قيد الغرائب بالتقيد و هدم سور المعضلات
بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل من النفس و أصحب للفهم من الضوء لشهاب القبس
في الغلس"^(٣)، فقد استفاد الزملكاني استفادة عظيمة من كتاب الدلائل في الحديث
عن الفنون البيانية، و هذه الأفكار و الآراء البلاغية التي وردت في "الدلائل"
مستنبطة من الدراسة العميقة للقرآن الكريم، الذي فجر ينبوع المعارف و العلوم على
اختلاف أشكالها و فروعها.

و لم يقف تأثير "دلائل الإعجاز" عند هذا الحد بل تعدى إلى حدود كثيرة من
البحث البلاغي، لقد أثنى يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) على كتاب "الدلائل"
إذ وضح في كتابه "الطراز" أن مؤلف "الدلائل" أول من أسس علم البلاغة.^(٤)
لقد كان "الدلائل" أساس شرح و تلخيص البلاغيين إذ يلاحظ المتمعن لكتب
البلاغة أنها لا تكاد تخلو من الإشارة إليها تصريحاً أو تضميناً، و يستشهدون بأقواله،

^١ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٠٧.

^٢ - لمرجع نفسه: ٣٠٨.

^٣ - الزملكاني: التبيان ٣٠ عن مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٠٨.

^٤ - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده: ٣٠٩.

إننا لا يمكن أن نقف على أثر الإمام عبد القاهر في الدرس البلاغي وقفة مطولة ومفصلة، و سيقصر عرضنا على علمين متأخرين و علمين محدثين.

أثره في المتأخرين:

أ- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): ظهر أثر كتاب دلائل الإعجاز في فكر الزمخشري في تفسيره "الكشاف"، فقد طبق فيه فكر الإمام عبد القاهر تطبيقاً أظهر به سمو التراكيب في الآيات الكريمة و روعة المعنى فيها^(١)، و ذلك تجلّى في نظرية النظم وأسسها التي فسر بها إعجاز القرآن قد أتت ثمارها في تفسير الكشاف إذ يقول الزمخشري في هذا الشأن: "النظم هو أم إعجاز القرآن و القانون الذي وقع عليه التحدي، و مراعاته أهم ما يجب على المفسر"^(٢)، كما نجده يشتد بنظم القرآن حين يعرض للآيات (٨٨-٨٩-٩٠) من سورة النمل بقوله: "فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه و ترتيبه و مكانة إضماده و رصانة تفسيره، و أخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحداً، و لأمر أعجز القوى و أحرص الشقائق"^(٣)، و بقوله في قوله تعالى: "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ كُنْتُ عُيْنٌ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"^(٤) ما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض يعلم

محاسن النظم.^(٥)

لقد اتسعت دائرة نظرية النظم التي رآها عبد القاهر في إعجاز القرآن لتصبح دراسة أسلوبية واسعة النطاق لاتساع التراكيب في العربية على اختلافها و تنوعها، و كانت أولى ثمارها تفسير الزمخشري للقرآن الكريم الذي يعد بحق نموذجاً تطبيقياً رائعاً لها.^(٦)

وقد نال الزمخشري شهرة كبيرة في العالم الإسلامي بسبب كتابه "الكشاف" إذ استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن تفسيراً يعتمد على المعاني

^١ - عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية: ١٨٥.

^٢ - الزمخشري الكشاف: ٥٣٦/٢.

^٣ - السابق: ١٦٢/٣.

^٤ - القصص: ٩٠.

^٥ - المصدر نفسه: ١٦٧/٣.

^٦ - شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٧٨.

النحوية و البلاغية في العبارة مقتديا بآراء الإمام عبد القاهر في هذا المضممار يعينه على ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل و تكشف عن خباياه و دقائقه، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يعرف مواطن الحسن و مواقعه في العبارة، و يقف على الأسرار البلاغية في التعبير، و ما يكون فيه من دقة الأداء و بلاغة المضمون^(١).
و إذا عدنا إلى كشف الزمخشري للكشف عن التحليلات العميقة للآيات القرآنية الكريمة، نجد أن الزمخشري تأثر بالإمام عبد القاهر الجرجاني، و سنأخذ أمثلة على ذلك التأثر، فمثلا في كتاب دلائل الإعجاز يمضي عبد القاهر في بيان الفرق بين تقديم الاسم و الفعل مع النفي^(٢)، إذ رأى أن الاسم إذا ولي بحرف النفي دل ذلك على أن الفعل قد وقع و لكن المتكلم أراد نفيه عن الاسم مع أن يكون صادرا عنه البتة، و قد طبق الزمخشري في هذه القاعدة في قوله تعالى: "و ما أنت علينا بعزيز"^(٣) و ذلك بقوله: ((و قد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: "و ما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا، و لذلك قال في جوابهم: "أرهطي أعز عليكم من الله"^(٤)، و لو قيل ما عززت علينا، لم يصح هذا الجواب)).^(٥)

أما تقديم الاسم في الخبر المثبت فقد رأينا الإمام عبد القاهر يجعله إما لفائدة التخصيص أو التوكيد، و قد جراه الزمخشري في ذلك أيضا، حيث قال في قوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"^(٦) أي الله وحده هو يبسط الرزق و يقدره دون غيره^(٧)، فتقديم لفظ الجلالة هنا أفاد تخصيص الله تعالى دون غيره ببسط الرزق، و قال في قوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ

^١ - سعد سليمان حمودة: البلاغة العربية: ٢٠٩.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٦٠.

^٣ - هود: ٩١.

^٤ - هود: ٩٢.

^٥ - الزمخشري: الكشف: ٢٨٩/٢.

^٦ - الرعد: ٢٦.

^٧ - الزمخشري: الكشف: ٣٥٩/٢.

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ" ^(١)، "وإيقاع اسم

الله مبتدأ أو بناء (نزل) عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث و رفع منه، و استشهاد على حسنه و تأكيد لإسناده إلى الله و أنه من عنده، و أن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه" ^(٢) فنجد قوله: "و تأكيد لإسناده إلى الله و أنه من عنده"، إثبات لإفادة تقديم لفظ الجلالة لتوكيد الحكم و تقريره، و قوله: "و أن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه" إثبات لإفادته التخصيص، و من ثم فقد جمع الزمخشري في تحليله للتقديم هنا بين الفائدتين: التوكيد و التخصيص.

و في باب الفصل و الوصل نجد الزمخشري يلتمس لحذف "الواو" في قوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ" ^(٣)، سببا من الأسباب التي رأيناها عند الإمام عبد

القاهر، ألا و هو الفصل لوقوع الجملة المفصولة تفسيرا لما قبلها و بيانا لها، إذ يقول: ((و قوله: "يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا" جار مجرى التفسير و البيان للجملتين المصدرتين بأما، و أما فريق العالمين بأنه الحق و فريق الجاهلين المستهزئين كلاهما موصوف بالكثرة، و أن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا، و أن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خطبا في ظلماتهم)). ^(٤)

و قبل أن نختم كلامنا عن الزمخشري يجدر بنا أن نورد مثالا دقيقا جدا عن استفادته من نظرية النظم في تفسيره للكشاف، إذ رأى فيهما من نكت نظم القرآن الشيء الكثير، و الذي يظهر فيه أيضا مدى تأثره بالإمام عبد القاهر في بعض القضايا التي وردت في "الدلائل"، يقول الزمخشري في قوله تعالى: "الْمَ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ

١- الزمر: ٢٣.

٢- الزمخشري: الكشاف: ٣/٣٩٤.

٣- البقرة: ٢٦.

٤- الزمخشري: الكشاف: ١/٢٦٧.

أَلَكِتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^(١) عن دلالة الألف و اللام في "الكتاب": و معناه

أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص و أنه الذي يستهل أن يسمى كتابا، كما تقول: هو الرجل: أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال^(٢)، و يقول عن إفادة وقوع النكرة بعد النفي للاستغراق و عن نكتة تقديمها على "فيه": ((فإن قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق و كم من مراتب فيه ؟ قلت ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه و إنما المنفي كونه متعلقا للريب و مظنة له، لأنه، من وضوح الدلالة و سطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ... فإن قلت: فهلا قدم الظرف على الريب حرف النفي نفي الريب عنه و إثبات أنه حق و صدق لا باطل و كذب كما كان المشركون يدعون، و لو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد المراد و هو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه، كما قصد في قوله تعالى: "لا فيها غول"^(٣) تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنه قيل: "ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب و النقيصة"^(٤)، و يقول في سر فصل هذه الجمل و ضم بعضها إلى بعض دون المجيء برابط يربط بينهما: "إن قوله: (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و (ذلك الكتاب) جملة ثانية، و (لا ريب فيه) ثالثة، و (هدى للمتقين) رابعة، و قد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة و موجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، و ذلك لمجيئها متأخية بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها و هلم جرا إلى الثالثة و الرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدي به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقرير الجهة التحدي و شدا من أعضائه، ثم نفى عنه أن يتشبه به طرف من الريب، فكان شهادة و تسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق و اليقين و لا نقص أنقص مما للباطل و الشبهة ... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين بذلك كونه يقينا لا

^١ - البقرة: ٢/١.

^٢ - الزمخشري: الكشاف: ٢١١، ٢١٢/١.

^٣ - الصافات: ٤٧.

^٤ - الزمخشري: الكشاف: ١١٣/١.

يحوم الشبك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه"^(١)، فالفصل بين هذه الجمل الأربع إنما كان لأجل وقوع كل واحدة منها توكيدا للتي قبلها و تثبيتا لأمرها، و لم ينس الزمخشري بعد هذا أن يذكر أن كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب المتناسق و نظمت هذا النظم البديع لم تخل من نكتة ذات جزالة، إذ نجد في الأولى الحذف و الرمز إلى الغرض بألف وجه و أرشقه، و في الثانية من التعريف من الفخامة، و في الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، و في الرابعة الحذف و وضع المصدر الذي هو "هدى" موضع الوصف الذي هو "هاد" و إيراد منكرا و غير ذلك"^(٢).

قال شوقي ضيف: "و واضح من كل ما قدمت أن الزمخشري استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في "الأسرار" و "الدلائل" و مضى يطبقه تطبيقا دقيقا على أي الذكر الحكيم، بل مضى يستتم هذه الآراء مضيفا إليها من حسه المرهف و عقله الثاقب، وخاصة في مباحث المعاني و البيان، التي أكمل كثيرا من شعبها و دقائقها ومقاييسها إكمالا سديدا"^(٣).

و الذي نخلص إليه أن الزمخشري كان موافقا للإمام عبد القاهر في أن القرآن معجزا بمعاني النحو و أحكامه، و وقف عند مزية نظم القرآن من ناحية إعجازه المتصل بأحكام النحو و أصوله.

ب- السكاكي (٦٢٦ هـ): ألف السكاكي كتاب "مفتاح العلوم" و خص الفصل الثالث منه لعلمي المعاني و البيان، و هو من أشهر الكتب في علم البلاغة "إذ استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله إلى عمل ملخص دقيق لما نشره أصحابها من آراء و ما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار، و صاغ ذلك كله صياغة مضبوطة محكمة استعان فيها بقدرته المنطقية في التعليل و التسبيب و في التجريد و التحديد والتعريف و التقسيم و التفريع و التشعيب، و كان عمدته في النهوض بذلك تلخيص الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" و كتابي عبد القاهر

^١ - نفسه: ١٢٢، ١٢١

^٢ - نفسه: ١٢٢/١.

^٣ - شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ: ٢٤٣.

"دلائل الإعجاز" و (أسرار البلاغة) ثم "الكشاف" للزمخشري فإنه استوعبه استيعاباً دقيقاً".^(١)

و إذا انتقلنا إلى بيان تأثير السكاكي بآراء الإمام الجرجاني بكتابه "الدلائل" وجدنا أن الرجل لخص الموضوعات التي تناولها الإمام عبد القاهر ذلك أن "موضوعات النظم عند عبد القاهر لم تكن إلا المباحث التي أدخلها السكاكي في علم المعاني".^(٢)

و سنأخذ مثالا على تأثير السكاكي بالإمام الجرجاني في قضية أحوال الإسناد الإخباري و اختلافه باختلاف أحوال السامع بحيث إذا كان خالي الذهن لم يؤكد له، و إذا كان طالبا له في تحير أكد بمؤكد واحد، و إذا كان منكرا له أورد عليه مؤكدا بتأكيدين أو أكثر، و يسمى الخبر في تلك الأحوال، ابتدائيا و طلبيا و إنكاريا^(٣) و عرض الإمام عبد القاهر لهذه المسألة.

و من الحق أن "تلخيصه أدق من تلخيص الفخر الرازي، فقد تحولت البلاغة في تلخيصه إلى علم بأدق المعاني كلمة علم، فهي قوانين و قواعد تملو من كل ما يمتع النفس، إذ سلط عليها المنطق بأصوله و مناهجه الحادة حتى في لفظها وأسلوبها، كما أنها لم تزخر بالتحليلات التي رأيناها عند الإمام عبد القاهر والزمخشري و التي كانت تملأ نفوسنا إعجاباً"^(٤)

و لقد دعا الدكتور شوقي ضيف -حين تعرض لبيان أحوال المسند إليه عند السكاكي- إلى القول «بأنه جمع ملاحظات عبد القاهر و الزمخشري و يغمسها في ليقة النحو»^(٥)، لقد فهم السكاكي أن هناك علاقة قوية بين علمي النحو والمعاني وهذه الملاحظة أخذها عن الإمام عبد القاهر، ضف إلى ذلك أن الأبواب التي ذكرها عبد القاهر في "الدلائل" لتفسير نظرية النظم، هي التي عرفت عند السكاكي باسم علم المعاني.

^١ - المرجع نفسه: ٢٨٨.

^٢ - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي: ٤٠٣.

^٣ - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ: ٢٩٠.

^٤ - المرجع نفسه: ٢٨٨.

^٥ - المرجع نفسه: ٢٩١، ٢٩٠.

فالنظم عنده -السكاكي- لم يكن سوى توخي معاني النحو و الترابط بين الكلمات في الجملة، إذ لا بد أن توضع وضعا خاصا من تقديم أو تأخير و ذكر أو حذف و تعريف أو تنكير و غير ذلك مما يراعى في الجملة.

أثره في المحدثين:

أ- إبراهيم مصطفى: كان أحد رواد الدراسات النحوية الحديثة، و هو من "الذين يذهبون إلى أن درس النحوي يجب أن يقوم على كشف الروابط بين اللفظ والمعنى، وإيضاح الصلات بين الصورة و المضمون، وإدماج دراسة النص اللغوي في نحوه وإعرابه مع الدلالات البيانية و ما توحىه من صور بلاغية".^(١)

لأن إبراهيم مصطفى يرى أن «النحاة اهتموا بدراسة أواخر الكلمات وتضييق حدود النحو الواسعة في حركات إعرابية، و سلكوا به طريقا منحرفا إلى غاية قاصرة وضيعوا كثيرا من أحكام نظم الكلام و أسرار تأليف العبارة».^(٢)

فالنحاة في رأيه قد قصروا البحث النحوي على النظر في أواخر الكلمات، و ما يلحقها من بناء و إعراب، و هذا الأمر أدى إلى تضييق دائرة البحث النحوي، و في الحقيقة علم النحو أوسع من ذلك، إذ قال إبراهيم مصطفى: "ثم إنهم حين حددوا النحو و ضيقوا بحثه حرموا أنفسهم و حرمونا إذا تبعناهم من الإطلاع على كثير من أسرار البلاغة و أساليبها المتنوعة و مقدرتها في التعبير، فبقيت هذه الأسرار مجهولة، و لم نزل نقرأ العربية و نحفظها و نرويها و نزع أننا نفهمها و نحيط بما فيها من إشارة و ما لأساليبها من دلالة، و الحق أنه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها، و من دقائق التصوير بها".^(٣)

إذ يذكر إبراهيم مصطفى «أن النحاة قد مروا بطرق الإثبات و النفي و التأكيد، و التقديم و التأخير و غيرها من صور الكلام من غير درس إلا ما كان ماسا بالإعراب أو متصلا بأحكامه، ففاتهم لذلك كثيرا من فقه العربية و تقدير أساليبها»^(٤)، فلقد دعا إبراهيم مصطفى إلى العودة إلى منهج عبد القاهر الجرجاني

^١ - عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الجرجاني: ٢٢٧.

^٢ - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو: ٠٢.

^٣ - المرجع نفسه: ٠٤.

^٤ - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو: ٠٣.

في الدراسات النحوية إذ قال: "و لقد آن لمذهب عبد القاهر أن يحيا و أن يكون هو سبيل البحث النحوي"^(١)، فهذه دعوة لإحياء الدرس النحوي كما كان عند القدماء^(٢) و كما أحياه الإمام عبد القاهر، و بعث فيه الروح بعد أن قضى عليه المتأخرون.

و من هذا فقد أدرك إبراهيم مصطفى صلة علم النحو بعلم المعاني و هذا الأمر استقر عند الجرجاني الذي عرفناه -الأمر- بنظرية النظم، و هذا الأمر لمسنه في قول إبراهيم مصطفى: "فجمهور النحاة لم يزدوا في أبحاثهم النحوية حرفا ولا اهتموا منه بشيء، و آخرون أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بيانا لرأيه وتأيدا لمذهبه و جعلوه أصول علم من علوم البلاغة و سموه (علم المعاني) وفصلوه عن النحو فصلا أزهد روح الفكرة و ذهب بنورها، و قد كان أبو بكر {يعني الإمام عبد القاهر} يبدئ و يعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم (علم المعاني) و بتروا الاسم هذا البتر المضلل"^(٣).

و نتيجة لما سبق نستنتج أن إبراهيم مصطفى يرى أن النحاة المتأخرين قصرُوا في حق علم النحو و فصوله عن علم المعاني، و ضيقوا النحو في ما يتعلق بأواخر الكلمات من إعراب و بناء و هذه النظرة وجدناها أنفا عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.

ب- تمام حسان: اعترف الدكتور تمام حسان بفضل الإمام عبد القاهر فيما يخص علم النحو و علم المعاني، و تجلّى ذلك في كتابه "اللغة العربية معناها و مبناها" وذلك بقوله: "ولما ظهر الاتجاه البلاغي كان من طلائع كتبه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) للعلامة عبد القاهر الجرجاني الذي أعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوي و الدلالي من هذا الكتاب، حيث جرى الانتفاع أحيانا بعبارات هذا العلامة و أحيانا أخرى بإشاراته"^(٤).

^١ - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو: ٢٠.

^٢ - أمثال ابن جني وسيبويه.

^٣ - المرجع نفسه: ١٩.

^٤ - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧، ١٨.

و نرى أن هذا الانتفاع بآراء الإمام عبد القاهر من طرف تمام حسان صادر عن إدراكه للصلة القوية بين علمي النحو و المعاني، و هذا الأمر تناوله عبد القاهر في نظرية النظم.

إذ رأى تمام حسان أن موضوع الدراسة في علم المعاني هو التركيب، إذ تناول البلاغيون أنواع التركيب من تقديم و تأخير و حذف و ذكر و وصل و فصل، و نفي و استفهام ... إلخ، لا على طريقة النحاة من التركيز على أدوات هذه التراكيب، و هذه الدراسة للتراكيب تبدو قريبة الصلة بعلم النحو.

وإذا رجعنا إلى كتابه "اللغة العربية معناها و مبناها" لنعرف مدى فهم تمام حسان لآراء عبد القاهر، فأول الأمر نطالع حديثه عن نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر و قيمتها في الثقافة العربية و الغربية على السواء، إذ رأى "أن مبادرة الإمام عبد القاهر بدراسة النظم و ما يتصل به من بناء و ترتيب و تعليق كانت من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب، و أن تلك الدراسة للنظم و ما يتصل به تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب و تفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي، هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد الإمام عبد القاهر".^(١)

و سنورد بعض ما ورد في كتاب "اللغة العربية معناها و مبناها" لتبيين مدى تأثر تمام حسان بالإمام عبد القاهر إذ يذكر -الأول-: "أن أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن ما ذهب إليه الإمام عبد القاهر وما كتبه من دراسة جادة في (دلائل الإعجاز) تحت عنوان (النظم)، و أنه قد أورد في هذه الدراسة أربعة مصطلحات هي: النظم و البناء و الترتيب و التعليق.

فأما النظم فقد جعله للمعاني، أي أن النظم عند الإمام عبد القاهر هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند و المسند إليه، و تصور علاقة التعدية بين الفعل و المفعول، و هكذا، مؤكداً ذلك بقول الإمام عبد

^١ - تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها: ١٨، ١٩.

القاهر: "و إذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، و على الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، و نهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، من حيث هي على الإطلاق، و لكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض، و استعمال بعضها مع بعض"^(١)، ويورد تمام عدة تعليقات على هذا الكلام منها:

- إن النظم كما فهمه الإمام عبد القاهر هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لابناء الكلمات في صورة جملة.
- إن الإمام عبد القاهر أشار إلى ما سماه (الفروق)، و هي إشارة ذكية إلى ما شرحه من أمر القيم الخلفية أو المقابلات بين المعنى و المعنى أو بين المبنى و المبنى.
- إن في قوله: (و استعمال بعضها مع بعض) إشارة إلى التضام، و هو يتطلب إحدى الكلمتين للأخرى.
- و أما البناء فقد فهمه تمام أنه جعله للمباني بحسب المعاني النحوية كأن تبني لمعنى الفاعلية مبنى هو الاسم المرفوع في بعض المواطن أو ضميرا متصلا في موضع آخر و ضميرا مستترا في موضع ثالث.
- و أما الترتيب فقد فهمه تمام أنه وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر لها فوائد التقديم و التأخير اللذين كانا موضع عناية فائقة من عند عبد القاهر، و كذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظا أو غير محفوظ.

أما عن التعليق، فلقد رأى أنه أخطر شيء تكلم فيه الإمام عبد القاهر، و أنه قصد به إنشاء العلاقات النحوية بين المعاني بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية و المعنوية والحالية، وبهذا يكون التعليق في رأيه -كما كان في رأي الإمام عبد القاهر على أقوى احتمال- هو الفكرة المركزية في النحو العربي، فالتعليق إذن هو الإطار الضروري للتحليل النحوي، أو كما يسميه النحاة (الإعراب).^(٢)

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٣٢.

^٢ - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٦ وما بعدها.

و بعد هذا العرض الموجز لما جاء في كتب بعض المتأخرين و المحدثين يتبين لنا مدى استفادتهم من آراء الإمام عبد القاهر، و ذلك إما في تلخيص موادهم التي تناولوها، أو الأخذ آراءه في بناء أفكار جديدة سواء في مجال النحو أو البلاغة أو الدلالة.

الآ-dž-ل-ال-از-ي :

Ö-اه-رة-آ-ذث-في

ال-غ-ة-ال-ع-أ-ي-ة

إن الحذف من أشهر الظواهر اللغوية التي تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، إلا أنها تظهر بصورة واضحة و جلية في اللغة العربية نظرا لتشعب مسالكها و تعدد أوجهها فضلا عن ميل العرب للإيجاز و الخفة في كلامهم.

و حظت الظاهرة باهتمام النحاة و البلاغيين و اللغويين، إذ تعرضوا لها بالقول الكثير في مصنفاتهم، فالنحاة انصب جل اهتمامهم على تقدير المحذوفات انطلاقا من العلاقات التركيبية التي تربط بين عناصر الجملة، أما البلاغيون فاهتموا بالجانب الجمالي و البلاغي و النفسي الذي يؤديه الحذف في الكلام مراعين في ذلك شروطه و قرائنه و أسبابه.

و يحسن أننا نقف على معنى الحذف من الوجهة اللغوية و الاصطلاحية.

تعريف الحذف:

أ- لغة: ورد في المعاجم: "حذف الشيء يحذف حذفاً: قطعة من طرفه و عند الأزهري: الحذف: تحذيف الشعر تطريره و تسويته، و إذا أخذت من نواحيه ما تسويه به فقد حذفته، و قال امرؤ القيس:

لها جبهة كسرة المجن حذفه الصانع المقتدر

و أذن حذفاء كأنها حذفت أي قطعت، و حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعة من طرفه"^(١)، فالحذف كما ورد في المعاجم العربية: "حذف الشيء: إسقاطه، يقال حذفت من شعري و من ذنب الدابة أي أخذت"^(٢).

فالحذف لدى اللغويين هو إسقاط الشيء و قطفه من طرف كما يحذف ذنب الدابة.

ب- اصطلاحاً: أشار علماء العربية القدماء إلى مصطلح الحذف و عرف بأسماء عديدة أهمها، الإسقاط: إذ يعرفه الزركشي بأنه: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"^(٣) و معناه الإضمار و نجد هذا المفهوم عند سيبويه في كتابه إذ يقول: "و اعلم أنه ليس

^١ - ابن المنظور: لسان العرب: مادة حذف.

^٢ - الجوهري: الصحاح: مادة حذف.

^٣ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٠٣/٣.

كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف و لكنك تضرر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف و المواضع و تظهر ما أظهروا^(١)

و أورد سيبويه له بابا سماه "باب ما يكون في اللفظ من الأعراض"^(٢) لأن الأصل في العربية الذكر لعناصر الكلام، و هذا الأمر متفق عليه عند جمهور النحاة، و كذلك يعد الحذف من الظواهر التي تعتري الكلام بعناصره المختلفة مثلما نجد ذلك عند ابن جني الذي أفرد له بابا سماه "باب في شجاعة العربية"^(٣) إذ يقول: "قد حذفت العرب الجملة، و المفرد، و الحرف و الحركة و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، و إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"^(٤)

الحذف عند البلاغيين: يحسن بنا أن نشير إلى أن مجال بحثنا لا يعنى بحذف الحروف أو نحو منه كما ذكر أصحاب البديع من مثل قولهم: "و الحذف عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا أو حرفا من حروف الهجاء، أو جميع الحروف المعجمة، أو جميع المهملة بشرط عدم التكلف، و هم بذلك يشيرون إلى خطبة الإمام علي كرم الله وجهه المعروفة "بالموقفة" و قد أخلاها من حرف الألف و هو أكثر مدارا في الكلام مسؤولا ذلك فقال ارتجالا.

و الثاني كما فعل الحريري في "المقامة الحمصية" من الأبيات المهملة التي أولها

أعد لحسادك حد السلاح و أورد الآمل ورد السماح^(٥)

و الأبيات المعجمة التي أولها:

فتنتني فجنتني تجني بتجن يفتن غب تجني^(٦)

و مثل هذا الحذف لا يعنينا، أما الحذف الذي هو مدار بحثنا ، الذي يعرف أنه من الإيجاز إذ يقول الخطيب القزويني: "الحذف يعد قسيم إيجاز القصر"^(٧)، و عرفه غيره من البلاغيين بأنه: "التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، و ذلك بحذف

^١ - سيبويه: الكتاب: تج: اميل بديع يعقوب: ٣٤١/١.

^٢ - المصدر نفسه: تج: عبد السلام هارون: ٣٦٠/١.

^٣ - ابن جني: الخصائص: تج: محمد علي النجار: ٣٦٠/٢.

^٤ - المصدر نفسه: ٣٦٠/٢.

^٥ - البيت في مقامات الحريري: ٤٠٢، المقامة ٤٦.

^٦ - صفى الدين الحلبي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع: تج: نسيب نشاوي ٢٧٧.

^٧ القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: تج: عند المنعم الخفاجي: ١٥٦.

الشيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني"^(١)، فهو إذا سمة جلية و واضحة في الكلام عند العرب، و هو باب جليل من أبواب علم المعاني، كما نجد من معاني الحذف التضمين و هو أن يضمن في الكلام جزء كقول الفقيه: (النبذ مسكر فهو حرام) فإنه أضمر (و كل مسكر حرام)"^(٢)، و سماه الجاحظ الإيجاز المحذوف إذ عرفه بقوله: "هو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف"^(٣).

فالقديما قدموا تعريفات عديدة و مختلفة للحذف و قد تعرضنا لبعضها، ويمكننا أن نستنتج أن الحذف ظاهرة لغوية تتمثل في إسقاط جزء من الكلام سواء أكان حرفاً أم كلمة أو جملة أو أكثرها لداع بلاغي دون الإخلال بالمعنى مع إبقاء قرينة تدل على المحذوف.

أما المحدثون فمنهم من ذهب إلى ما ذهب إليه الأوائل على أنه إضمار، يقول طاهر سليمان حمودة: "و الواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداء من سيبويه و لا توجد تفرقة دقيقة تراعي في استعمالها باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفاً، و سيبويه يتكلم في مواضع عديدة عن الحذف في الأسماء والأفعال و عن الإضمار في الأفعال بحيث لا يتبين من استعماله تفرقة بينهما"^(٤).

و يذكر الدكتور عبد القادر حسين أن الفراء يسمى الحذف إضماراً إذا كان المحذوف ضميراً كما في قوله تعالى: "فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي

الَّذِينَ"^(٥)، أي فهم إخوانكم"^(٦)، حذف هنا الضمير المنفصل "هم" أما إذا لم يكن

المحذوف ضميراً فلا يسمى الحذف إضماراً، فالحذف عند النحاة كان يقتصر على تقدير المحذوفات، فهم يقرون بوجود الحذف إلا أنهم يختلفون في تقدير المحذوفات، فهم يقدرون المحذوف حسب ما تقتضيه الأحكام و الأصول العربية الخاصة

^١ - بسيوني: علم المعاني: ١٨٨/٢.

^٢ - الكفوي: الكليات: ٣٨٤.

^٣ - انعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة: ٢٤٥.

^٤ - طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٢٠٠.

^٥ - الأحزاب: الآية ٥٥.

^٦ - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي: ١٣٤.

بالتراكيب، أما الحذف من الوجهة البلاغية، فيقتصر على أدلته و شروطه و أغراضه البلاغية و عجائبه الجمالية و النفسية.

و الحذف أربعة أنواع^(١) و أولها:

١- **الاقتطاع:** و يعرفه السيوطي بأنه: حذف بعض حروف الكلمة، و يسميه بعض الدارسين بالاجتزاء و هو أن تقطع من الكلمة قطعة و تفصلها عنها تماما و قد وجد هذا النوع من الحذف في الشعر كقول الشاعر^(٢)

ناداهم ألا أجموا ألاتا قالوا جميعا كلهم ألاف

أراد بالحرف الأول: "ألا تركبون"، و الثاني "ألا فاركبوا"

فالاقطاع هو "عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا أو حرفين أو أكثر من حروف الهجاء".^(٣)

فهذا النوع من الحذف ليس لفائدة بلاغية أو جمالية تذكر و إنما يأتي للضرورة الشعرية، و يعرف هذا الحذف عن طريق قرائن حالية أو لفظية تساعدنا على إدراك ما حذف من الكلمة و في هذا الصدد من الحذف يقول ابن جني: "قد يحذفون بعض الكلم استخفافا حذفاً يخل بالبقية و يعرض لها الشبه".^(٤)

٢- **الاكتفاء:** و هو من اكتفى بالشيء إذا أقنع به، وعده كافيا و يعرفه الدارسون بأنه "أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم و ارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر"^(٥) ومثال هذا النوع من القرآن الكريم قوله تعالى: "سَرَّيْلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ"^(٦)، و المعنى

سرابيل تقيكم الحر و البرد فدل على المحذوف "تَقِيكُمُ" فالإنسان يتقي الحر

^١ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١٨٠/٣.

^٢ - طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير: ٢٠٩/١.

^٣ - انعام قوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة: ٥٣٠.

^٤ - ابن جني: الخصائص: ٨١/١.

^٥ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١١٨/٣.

^٦ - النحل: ٨١.

والبرد، فأورد سبحانه و تعالى الملازم و حذف الآخر لإدراك المخاطب له بسهولة ومنه كذلك قوله تعالى: "بِيَدِكَ الْخَيْرُ"^(١) و التقدير بيدك الخير و الشر.

٣- الإحتباك: و هو من الحبك: و حبك الشيء: شده و أحكمه، و منه حبك الحبل أي شد فتله، و كل أمر أحسنت القيام به احتبكته، فقد عرفه الزركشي بقوله: "بأن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه"^(٢). و ذكره السيوطي و قال عنه: "هو من ألطف الأنواع و أبدعها، و قل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة"^(٣). و مثال هذا النوع قول الشاعر^(٤):

و إني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر
أي هزة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز، و مثل له السيوطي من القرآن الكريم بقوله تعالى: "وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ"^(٥) و من الثاني "أخرجها"، فدل على الحذف الأول "غير بيضاء" ما ذكر من الثاني "تخرج بيضاء"، و دل على الحذف الثاني "أخرجها" قوله تعالى: "تَخْرُجْ بَيْضَاءَ".

٤- الاختزال: و هو من الفعل اختزل الشيء أي اقتطفه و الاختزال في الكتابة و الكلام هو الاختصار فيهما، و يعرفه الزركشي: "لغة: خزل الشيء قطعه وسطه، و هو في الاصطلاح: حذف كلمة أو أكثر و هو إما حذف اسم أو فعل أو حرف"^(٦).

و يعرفه السيوطي بأنه: "هو ما ليس واحدا مما سبق"^(٧)، و هو يشمل أقسام الحذف من حذف المضاف و المضاف إليه و المبتدأ أو الصفة و الموصوف و ما إلى ذلك من أقسام الكلمة، و نأخذ مثالا من القرآن الكريم قوله تعالى "وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةَ

^١ - آل عمران: ٢٦.

^٢ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١٢٩/٣.

^٣ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١٨٢/٣.

^٤ - انعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة: ٣٤، البيت لأبي صخر الهذلي: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: رقم ٢٠٧،

٢٠/٣.

^٥ النمل: ١٢.

^٦ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١٣٤/٣.

^٧ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١٨٤/٣.

﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾^(١)، و التقدير: هي نار حامية، و منه نخلص إلى أن الحذف عند

البلاغيين و اللغويين بصفة عامة: هو: اقتطاع و اكتفاء و احتباك و اختزال.

المبحث الثاني: أسباب الحذف و دواعيه

تعتبر أسباب الحذف بمثابة التعليل للظاهرة بعد وقوعها في مواضعها المختلفة، لذا فسّر علماء العربية من نحاة ولغويين هذه الظاهرة بعدة أسباب وعلل وذلك من خلال دراستهم الوصفية للغة ومن أهم هذه الأسباب :

١- كثرة الاستعمال:^(٢) لقد علل النحاة القدماء ظاهرة الحذف في الكلام بكثرة الاستعمال ومن أشهرهم إمام النحاة سيبويه (ت ١٨٠ هـ) الذي أفرد بابا خاصا له سمّاه : « هذا باب يحذف منه الفعل لكثرتة في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل »^(٣) ودلل على ذلك بشاهد إذ قال سيبويه : « ومن ذلك قول الشاعر وهو ذو الرّمة وذكر الديار والمنازل.

ديار مية إذ مي مساعفة ولا يرى مثلها عجم و لا عرب
كأنه قال : اذكر ديار مية، ولكن لا يذكر " اذكر " لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إياه»^(٤).

كما علل سيبويه في موضع آخر حذف ياء المضاف للمنادى ابن أم وابن عمّ وذلك لكثرة استعمال العرب هذا المنادى في كلامهم، حيث قال سيبويه في هذا الشأن: « وقالوا يا ابن أمّ ويا ابن عمّ، فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد، لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي ويا غلام غلامي »^(٥) ويدل ذلك على ميل العرب إلى الاختصار والتخفيف.

١- القارعة: ٩ - ١٠

٢- هذا المصطلح متفق عليه من طرف النحاة وهو وارد لدى طاهر حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٣١.

٣- سيبويه : الكتاب : تح : عبد السلام هارون دار الجيل بيروت : ج١/ ٢٨٠ .

٤- المصدر نفسه : ج١/ ٢٨٠ .

٥- المصدر نفسه : ج٢/ ٢١٤ .

٢- **طول الكلام:** من المعلوم أن العرب تميل إلى الإيجاز وتبتعد عن الثقل والإطالة، لذا أجاز العرب حذف بعض أجزاء الكلام تجنباً لطوله، كما أقر ذلك ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) في حذف الكلام بجملته^(١)، إذ يقول: «يقع حذف الكلام بجملته باطراد في مواضع: أحدها بعد حرف الجواب يقال: أقام زيد؟ فتقول: نعم^(٢)» والتقدير نعم، قام زيد، فحذفت "قام زيد" كجملة تجنباً لطول الكلام.

ومن أمثلة الحذف لطول الكلام حذف الجملة التي تأتي بعد «إن الشرطية» كقوله: قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيراً معدماً؟ قالت وإن* أي: وإن كان كذلك رضيته^(٣)، والتقدير قالت وإن كان فقيراً رضيته به، وإنما دل عليه حذف الجملة- الكلام الذي قبله "إن كان فقيراً معدماً".

ومن المواضع التي يحذف فيها الكلام لطوله جملة الصلة إذ يرى طاهر سليمان حمودة «يجوز حذف صدر صلة الموصول إذا طالت بعد سائر الأسماء الموصولة نحو: جاء الذي هو ضارب زيدا حيث يجوز حذف "هو" فنقول: جاء الذي ضارب زيدا»^(٤)، وقال ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك: «ولا يحذف صدر الصلة مع غير "أي" إلا إذا طالت الصلة»^(٥)

ومن الشواهد التي استشهد بها ابن هشام على الحذف لطول الكلام ((ما جاء في سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: «أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون» (يوسف ٤٥) إن التقدير: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف افتنا في الرؤية))^(٦) فحذفت تلك الجمل للاختصار وتجنباً للإطالة لأن القرآن الكريم يهتم بالمحاور الكبرى للقصة دون التعرض للحديثيات.

٣- **الحذف لأسباب إعرابية:** وقد يعتري الحذف الكلام في الأفعال المعتلة فيكون الحذف علامة للجزم للمضارع المعتل الآخر كقولنا: لم يرض فأصلها "يرضى" وعندما دخل عليها الجازم "لم" حذف حرف العلة الألف المقصورة.

^١ - ابن هشام الأنصاري: معني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح: محي الدين محمد عبد الحميد ج ٢/ ٧٤٦

^٢ - المصدر نفسه: ح ٢/ ٧٤٦

* - لم يبين ابن هشام صاحب البيت.

^٣ - المصدر نفسه: ح ٢/ ٧٤٧

^٤ - طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٤٣

^٥ - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تح: محي الدين محمد عبد الحميد ج ١/ ١٦٥

^٦ - ابن هشام الأنصاري: معني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح: محي الدين محمد عبد الحميد ج ٢/ ٧٤٧.

وأفرد سيبويه لهذه العلة باباً سماه « هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض»^(١) وهذا الأمر يتعلق بالأفعال التي يطرأ عليها تغيير أو حذف أو تعويض لحروفها إذ يقول سيبويه : « اعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوضون، فمما حذف وأصله في الكلام غير ذلك، لم يك، ولا أدر»^(٢).

ومما ورد لدى النحاة في الحذف لعل الإعراب قول ابن مالك في ألفيته

«والرفع فيهما انو، واحذف جازما ثلاثين، تقض حكما لازما

إذ أشار بقوله "واحذف جازما ثلاثين" إلى أن الثلاث هي الألف والواو والياء، تحذف في الجزم نحو : لم يخش، ولم يغز، ولم يرم، فعلازمة الجزم حذف الألف والواو والياء»^(٣).

٤- **الحذف للضرورة الصرفية:** وعلل علماء النحو والصرف الحذف بعلة صرفية بحتة وخاصة ما يتعلق ببعض الظواهر الصرفية كالإبدال فجاء في شرح ابن عقيل إذ قال ابن مالك :

«فا أمر أو مضارع من كوعد احذف، وفي كعدة ذاك اطرء

وحذف همز افعل استمر في مضارع وبنيتي متصف

إذا كان الفعل الماضي معتل الفاء كوعد، وجب حذف الفاء في الأمر والمضارع والمصدر إذا كان بالتاء، وذلك نحو : عد، ويعد، عدة، وكذلك يجب حذف الهمزة الثانية في الماضي مع المضارع واسم الفاعل واسم المفعول نحو قولك : أكرم، يكرم، والأصل : يؤكرم، ونحو : مكرم ومكرم والأصل : مؤكرم ومؤكرم»^(٤).

وفي هذا المجال يقدم ابن هشام لنا لغزا شهيرا ويظهر فيه حذف بسبب صرفي صوتي وهو قول الشاعر :

« إن هند المليحة الحسناء وأي من أضمرت لخل وفاء

^١ - سيبويه : الكتاب : تح : عبد السلام هارون دار الجيل بيروت : ج١/ ٢٤.

^٢ - المصدر نفسه : ج١/ ٢٤-٢٥.

^٣ - ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج١/ ٨٥.

^٤ - المصدر نفسه : ج١/ ٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦.

فإنه يقال : كيف رفع اسم "إن" وصفته الأولى؟ والجواب إن الهمزة فعل أمر والنون للتوكيد، والأصل : "إين" بهمزة مكسورة وياء ساكنة للمخاطبة ونون مشددة للتوكيد، ثم حذفت الياء لالتقاء ساكنة مع النون المدغمة «^(١) فتم حذف الياء الساكنة بسبب صوتي، وهذا الشكل في الحذف مطرد في الأفعال المعتلة وبمختلف تصريفها.

٥- الحذف للضرورة الشعرية: على غرار الأسباب الأخرى فقد يعتري الحذف الكلام للضرورة الشعرية وبحكم أنه يقال عند جمهور النقاد في الأدب العربي أنه يجوز للشاعر ما لا يجوز للنثر كصرف ما لا ينصرف، ومن الناحية من تحدث عن وجود الحذف لعللة الضرورة الشعرية سيبويه الذي تعرض لها وخص لها باباً سماه : « هذا باب ما يحتمل الشعر »^(٢) واستشهد بمثال :

دار لسعدى إذه من هواك*

إذ سكن الشاعر يا "هي" ثم حذفها للضرورة الشعرية، ويقول في هذا الشأن طاهر سليمان حمودة : « إن الحذف في الضرورة حذف صوتي تقتضيه مقتضيات صوتية تتصل بالموسيقى الخارجية للبيت وهي الوزن والقافية »^(٣)

٦- الحذف لأسباب بلاغية: لا يأتي الحذف للأسباب السابقة الذكر فحسب، بل هناك عللاً أخرى يأتي من أجلها، فقد يأتي الحذف لدواعي بلاغية ومنها « الإيجاز والاختصار والمقصود بهما تحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل »^(٤)

وقد أشار ابن جني إن العرب تميل إلى الإيجاز بقوله : « واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها »^(٥) ، وقد اتفق جمهور البلاغيين والناحاة واللغويين على هذا السبب، وذلك لأهميته في الكلام .

وقد أشار صاحب الكتاب إلى هذا الأمر في « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء بقوله : من ذلك قولك : حمدا

^١ - ابن هشام الأنصاري: معني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج ٢٦/١

^٢ - سيبويه : الكتاب : تح : عبد السلام هارون دار الجيل بيروت : ج ٢٧/١ .

* لم يعرف قائله وأول هذا البيت: هل تعرف الدار على تبراكا

^٣ - طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٥٠

^٤ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن : تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٢/٦٩

^٥ - ابن جني : أبو الفتح عثمان : الخصائص : تح : محمد علي النجار : ج ١/٨٣ .

وشكرا لا كفرا... فإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل كأنك قلت : أحمد الله حمدا
وأشكر الله شكرا «^(١) فرأى سيويه أن هذا الإضمار جاء لغرض الإيجاز
والاختصار.

^١ - سيويه : الكتاب : تح : عبد السلام هارون دار الجيل بيروت : ج ١ / ٣١٨-٣١٩.

المبحث الثالث : شروط الحذف .

لقد اشترط النحاة مجموعة من الشروط للحذف وحصرها ابن هشام الأنصاري في ثمانية شروط^(١) « وهي :

١. وجود دليل حالي.
٢. أن لا يكون ما يحذف كالجاء.
٣. أن لا يكون مؤكدا.
٤. أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر.
٥. أن لا يكون عاملا ضعيفا.
٦. أن لا يكون عوضا عن شيء.
٧. أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه.
٨. أن لا يؤدي حذفه إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي»

وسيتركز حديثي في هذا المجال على الشروط الأساسية التي وقف عليها إجماع النحاة إزاء هذه الظاهرة .

١- **وجود الدليل على المحذوف :**^(٢) ويعد من أهم شروط الحذف، إذ عده البلاغيون والنحاة شرطا ضروريا، فنجد ابن جني الذي يرى « أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه في حكم الملفوظ به»^(٣) ونجد الإمام الزركشي أقر هذا الشرط الذي قال : « إن الحذف لا يجوز إلا لدليل أحتيج إلى ذكر دليله»^(٤) كما يرى ابن عقيل هذا الشرط وعده أساسيا في عدة مسائل وقضايا نحوية حيث قال ابن عقيل في حذف خبر " لا " النافية للجنس : « إذا دل دليل على خبر " لا " النافية للجنس وجب حذفه عند التميميين والطائيين وكثر حذفه عند الحجازيين »^(٥) وفي موضع آخر يؤكد ابن عقيل هذا الشرط في حذف كل من المبتدأ والخبر إذ قال : « يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا

^١ - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الاعراب: تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج١/ (٦٩٢-٧٠٠).

^٢ - المصدر نفسه: ج٢/ ٦٩٢.

^٣ - ابن جني : أبو الفتح عثمان : الخصائص : تح : محمد علي النجار : ج١/ ٢٨٤.

^٤ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن : تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ج٢/ ٧١.

^٥ - ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج٢/ ٢٥.

دلّ عليه دليل : جوازا أو وجوبا، فمثال حذف الخبر أن يقال : من عندكما؟ فتقول :
زيد والتقدير : زيد عندنا»^(١) والتمن يقول :

« وحذف ما يعلم جائز، كما تقول " زيد " بعد من عندكما؟

وفي جواب "كيف زيد" قل دنف فزيد استغني عنه إذ عرف»^(٢)

وتجدر الإشارة بذكر أنواع الأدلة على المحذوف كما ورد لدى العلماء.

أدلة الحذف : هناك نوعان من الأدلة يدل على المحذوف كما نبه إليها ابن هشام^(٣) :
«وهما دليل صناعي وغير صناعي، أما الدليل غير الصناعي فينقسم إلى حالي ومقالي».

١- فالدليل الحالي يقصد به الدليل اللفظي، فالمحذوف يتجلى من خلال لفظ يذكر يدل عليه يشبهه أو يعكسه، ومثال ذلك قوله تعالى : « قالوا سلاما » (هود ٦٩) والتقدير : سلمنا سلاما، فسلاما مفعول مطلق دل على الفعل المحذوف " سلمنا" والشأن نفسه بالنسبة لقوله تعالى: « وبالوالدين إحسانا » (الإسراء ٦٣) فأحسانا دلت على محذوف وهو فعل " الأمر " أحسنوا.

ومثال آخر على هذا النوع من الدليل قوله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » (الكهف ٧٩)، فقد دلّ على المحذوف قوله : " أن أعيبها" فكان التقدير: ...يأخذ كل سفينة صالحة غصبا.

والدليل المقالي : مثل قوله تعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » (النحل ٣٠) والتقدير: قالوا: أنزل ربنا خيرا .

٢- الدليل الصناعي :^(١) ويحصل حذف من إعراب اللفظ فيدل على أن هناك محذوف مثلا : تجد اسما منصوبا، فيعلم أنه لابد له من ناصب، نحو قولنا أهلا وسهلا ومرحبا، أي وجدت أهلا وسلكت سهلا وصادفت رحبا، ومن أمثلة ذلك أيضا

^١ - ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج١/٢٤٤.

^٢ - المصدر نفسه : ج١/٢٤٣-٢٤٤.

^٣ - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج٢/٦٩٢-٦٩٤.

^١ - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح : محي الدين محمد عبد الحميد ج٢/٦٩٤.

اسم الاختصاص الذي يعرب مفعولا به منصوبا على إضمار فعله وجوبا الذي يقدر بـ: أخص أو أعني، وهذا ما يعرف عند النحاة بالدليل الإعرابي^(٢).

وقد اعتبر طاهر سليمان حمودة أن الدليل الإعرابي جزء من الدليل اللفظي^(٣).

٣- الدليل العقلي:^(٤) إذ يرى الزركشي هذا الدليل أساسيا حيث قال: « حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير المحذوف كقوله تعالى: « واسأل القرية » (يوسف ٨٢) فإنه يستحيل أن يكلم الأمكنة إلا معجزة^(٥) » والأمر نفسه ذهب إلى الإمام السيوطي بأن: «العقل من الأدلة التي يعرف بها المحذوف وتقديره^(٦) ».

فالسامعون يستعملون عقولهم في كثير من الأحيان ليعلموا المقصود من الكلام ومعرفة العناصر المحذوفة منه.

- فتعد هذه الأدلة أشهر القرائن التي يعرف بها السامع المحذوف وتقديره وهناك قرائن أخرى، كالقرائن الحالية^(٧)، فهذه القرائن تعتمد على الموقف الكلامي ولها أهمية كبيرة في تحديد المعنى، إذ هي العناصر المتعلقة بالسياق اللغوي، وهو ما يعرف لدى البلاغيين باسم المقام، فكثيرا ما يعتمد السامع على الأحوال المصاحبة للمتكلم ونفسيته لفهم كلامه.

٢- ألا يكون المحذوف كالجاء:^(٨) يقول ابن هشام: « فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه^(٩) » وكذلك نجد السيوطي يقول: « ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه واسم كان وأخواتها^(١) » وإنما الأجزاء الأساسية كالفاعل ونائبه واسم كان تضرر ولا تحذف إلا أن هذا الشرط لا يعد ضروريا في نظر بعض النحاة قديما ولدى بعض

^٢ - طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٢٠.

^٣ - المرجع نفسه: ١٢١.

^٤ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٧١/٣.

^٥ - المصدر نفسه: ج ٧١/٣.

^٦ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١٧٤/٣.

^٧ - طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٣٠.

^٨ - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تح: محي الدين محمد عبد الحميد ج ٦٩٧/٢.

^٩ - المصدر نفسه: ج ٦٩٧/٢.

^١ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١٧٨/٣.

الدارسين المحدثين إذ يرى طاهر سليمان حمودة « أن هذا الشرط لا يعد دقيقا وقياسيا لأن هناك مواضع قياسية ورد فيها حذف الفاعل»^(٢).

وأما في القرآن الكريم، فقد ثبت حذف الفاعل ومنه قوله تعالى: « حتى توارت بالحجاب » (ص ٣٢) والتقدير: حتى توارت الشمس بالحجاب، وبهذا لا يصلح هذا الشرط أن يكون واحدا من شروط الحذف.

٣- أن لا يكون المحذوف مؤكدا :^(٣)

من المؤكد أن الحذف يؤتى به لأغراض بلاغية أهمها الإيجاز والاختصار والتخفيف فلا يجوز أن يؤكد لأن ذلك يؤدي إلى تناقض فقد قال ابن هشام: « العائد مرید للطول والحذف مرید للاختصار»^(٤) فالتأكيد ينقض الحذف ويصبح لا معنى له، ولذا لم يجز النحاة أن تقول: « الذي رأيت نفسه زيد وإنما يقال: الذي رأيت نفسه زيد»^(٥).

٤- أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر:^(٦) فإذا كان الحذف عبارة عن اختصار لما هو مختصر فقد وجب العلماء حذف المختصر للمحذوف لأن ذلك يؤدي إلى إخلال بالمعنى ومن ثم: « لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل»^(٧) فمثلا: لا يمكننا أن نحذف اسم الفعل في قولنا: عليك زيدا فإذا حذف اسم الفعل "عليك" وترك "زيدا" فإن ذلك يؤدي إلى إبهام وإخلال في المعنى فالسامع يعتقد أن المحذوف فعلا لا اسم فعل.

وباختصار لما سبق نلاحظ أن النحاة والبلاغيين يرون أن الكلام لا يخلو من وجود هذه الظاهرة فيه، وذلك لوجود عناصر تتكرر في الكلام ويكون المتكلم في غنى عن ذكرها لوجود قرائن حالية أو عقلية أو مقالية. وكذلك الحال بالنسبة لما يكتب فنجد كثير من العبارات نفهمها مع أنها موجزة ولا يذكر فيها كل شيء بالتفصيل، وذلك لوجود أدلة على المحذوف، وهو شرط أساسي في كل حذف يقول

^٢ - طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٣٧.

^٣ - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: تح: محي الدين محمد عبد الحميد ج٢/٦٩٨.

^٤ - المصدر نفسه: ج٢/٦٩٨.

^٥ - المصدر نفسه: ج٢/٦٩٨.

^٦ - المصدر نفسه: ج٢/٦٩٩.

^٧ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ج٣/١٧٨.

ابن الأثير: « والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب »^(١) فهو يشترط وجود دليل عليه وإلا لما جاز الحذف.

فقد تعرضت في هذا المبحث إلى أهم الشروط التي ركز عليها العلماء أما بقية الشروط فلا تعد ضرورية ولا قياسية كما يرى ذلك طاهر سليمان حمودة^(٢).

^١ - عبد العزيز عتيق : البلاغة العربية : دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت : ١٧٣
^٢ - طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٥١.

المبحث الرابع: فوائد الحذف البلاغية

لكل ظاهرة من الظواهر اللغوية أغراض بلاغية، و هذا الأمر مشهور عند جمهور البلاغيين، فالحذف -كغيره من الأساليب- له عدة أغراض و فوائد عظيمة ولا يوتى به جزافاً، و سنتطرق في هذا المبحث لأهم الأغراض البلاغية التي تستفاد من الحذف و أشهرها:

١- الإيجاز و الاختصار في الكلام: من المعلوم عند العلماء أن العرب تميل في كلامها إلى الإيجاز و الاختصار يقول ابن جني في هذا الشأن: "و اعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل، و عن الإكثار أبعد، ألا ترى أنها في حال إطالتها و تكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال و ملالها"^(١) فابن جني يرى أن تعداد الأشياء ما يؤدي إلى طول الحديث و السامة منه، و يعطي لنا أمثلة عديدة عما كانت العرب تقوم بحذفه فيقول: "قد حذفت العرب الجملة و المفرد، و الحرف و الحركة، و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، و إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"^(٢)، كما أقر ابن فارس هذه الحقيقة إذ قال: "من سنن العرب الحذف و الاختصار حين يقولون والله أفعل ذاك، يريدون لا أفعل ..."^(٣) بمعنى أن العرب تميل إلى الاختصار و عدم التطويل في كلامها بطبيعة أن النفس سريعة الملل والكره.

كما أن من مفاهيم البلاغة الإيجاز يقول الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): "قال لي ابن الأعرابي: قال لي المفضل بن محمد الضبي، قلت لأعرابي منا: ما البلاغة، قال لي: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل، قال الأعرابي، فقلت: وتقريب البعيد"^(٤)، فالإيجاز هو من أبلغ الأساليب العربية وأحسنها تأثيراً، والحذف جزء من الإيجاز بل هو القسم الثاني له والقسم الأول هو القصر، حسب ما ورد في الإيضاح^(٥)، فالإيجاز هو: "اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه"^(٦)، ويؤكد

^١ - ابن جني: الخصائص: ٨٣/١

^٢ - المصدر نفسه: ٣٦٠/٢

^٣ - السيوطي: المزهرة في علوم اللغة و أنواعها: ٢٢١/١

^٤ - الجاحظ: البيان و التبيين. ٩٧ / ١

^٥ - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٦

^٦ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١٠٢/٣

الطبري ما قاله البلاغيون عن الحذف فيقول: "فالحذف عند ما يكون الذكر باعثا عن السامة في النفس شدة الوضوح و قرب الحديث عنه".^(١)

و في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا الغرض من الحذف و مثال ذلك قوله تعالى: "أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ"^(٢)، و الآية

المباشرة التي تليها: "قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ"^(٣) و بين الآيتين

أمور كثيرة حدثت يفهمها السامع من القرينة العقلية و تقدير المحذوفات: "فأخذ الكتاب فألقاه إليهم فرأته فقرأته"^(٤)، ففي هذه الآيات حذف و هذا لغرض الاختصار و الإيجاز دون الاهتمام بالتفاصيل و الحثييات، لأن القرآن بما هو أهم في القصص لأخذ العبرة و الاتعاظ بها.

٢- **التفخيم و الإعظام لما فيه من الإبهام:** ففي هذا الغرض تجول النفس متشوقة بما اكتفى بذكره لمعرفة المراد و ذلك عندما يكون المحذوف في مواضع التعجب والتعويل و مثال ذلك قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا"^(٥)، إذ أن

الوصف لما يجدونه لايتناهى فتركت النفس تقدر ما شأنه و مع ذلك فهي لا تبلغ منه كنه ما هنالك فالأمر أعظم من تخيله بسهولة، و في هذا الصدد نقل السيوطي عن ابن حازم قال: "إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد تعديدا به أشياء فيكون في تعدادها طول و سامة فيحذف و يكتفي بدلالة الحال و تترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها".^(٦)

٣- **زيادة لذة السامع أثناء استنباطه للمحذوف:** فكلما كان تقدير السامع للمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أقوى و أحسن، فعندما يجد السامع كل شيء جاهز ففي ذلك عدم إعمال للذهن، ومن ثم فالحذف يساعد على تشغيل الذهن يقول عبد العزيز

^١ - رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع للهجرة: ٣٨٤.

^٢ - النمل: ٢٨.

^٣ - النمل: ٢٩.

^٤ - طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٠١.

^٥ - الزمر: ٧٣.

^٦ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١٧١/٣.

عتيق: "فالمحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه من الطلاوة و الحسن".^(١)

٤- **التنبية على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف:** و يقدم الزركشي لهذا السبب مثالا من القرآن الكريم لقوله تعالى: "نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا"^(٢)، فالله يحذرهم والتقدير: "احذروا ناقة الله فلا تقربوها، و "سقياها" إغراء بتقدير، "الزموا ناقة الله" و قد دل بال حذف في العبارة على لهفة القائل و هو الرسول صالح -عليه السلام- فهو حريص على نجاة قومه من الخطيئة، فأسرع لهم بذكر الأهم.

٥- **صيانة المحذوف عن الذكر تشريفا له:** و مثال ذلك قوله تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"^(٣)، فأضمر موسى -عليه السلام- في إجابته لفرعون اسم "الله" تعظيما له و تشريفا، فحذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع و التقدير، "الله رب السماوات و الأرض" و "و الله ربكم و رب آبائكم" و "الله رب المشرق و المغرب"

٦- **صيانة اللسان عنه و تحقيق من شأنه:** و قد مثل الزركشي^(٤) بقوله تعالى: "صُمُّ

بُكُمْ عُمَى"^(٥) أي "هم" و يقصد به هنا المنافقون و قد يكون سبب الحذف هنا لمجرد

الاختصار في الكلام و قد يكون غرضه الاحتقار و التقليل من شأن المنافقين و لهذا لم يتم ذكرهم حتى بدون ضمير.

٧- **التخفيف لكثرة دورانه في الكلام:** و هذا النوع من الأغراض يندرج تحت إطار الحذف بالاقتطاع أي حذف بعض الحروف، فيكون الحذف هنا لغرض التخفيف

^١ - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني: ١٧٩.

^٢ - الشمس: ١٣.

^٣ - الشعراء: ٢٣-٢٤.

^٤ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١٠٧/٣.

^٥ - البقرة: ١٨.

والترخيم، و مثال ذلك: "يا عام" للذي ينادي "عامر" بحذف الراء، أو حذف حرف النداء "يا" في قوله تعالى: "يُوسُفُ أَعْرِضْ"^(١)

٨- العلم الواضح بالمحذوف: و مثال ذلك قوله تعالى: "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ"^(٢)،

فالمحذوف هنا واضح و هو الفاعل، و حذف لكون فعل "الخلق" لا يصلح و لا يكون إلا لله سبحانه و تعالى -و منه كذلك- قوله تعالى: "عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ

الْمُتَعَالِ"^(٦) ^(٣) ففي هذه الآية "عالم" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" و هي تعود

على الله -سبحانه و تعالى- فكون العلم بالغيب و الشهادة لا يصلح إلا له سبحانه وتعالى، و حذف للعلم به.

٩- رعاية الفاصلة: أحيانا يأتي الحذف في القرآن الكريم أو في كلام العرب شعرا أو نثرا لمراعاة آخر الكلم و الفواصل، و مثال ذلك قوله تعالى: "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا

قَلَى"^(٤)، فنظرا لأن في السورة ثمانية آيات تنتهي بالالف المقصورة فحذف المفعول

به إذ كان التقدير: "ما ودَّعَكَ رَبُّكَ و ما قلاك" فحذف الضمير الكاف، و نماذج هذا الحذف مطرد في القرآن الكريم و في كلام العرب.

١٠- قصد العموم: فقد يكون المحذوف عبارة عن عدة أشياء لا يمكن إحصاؤها

جملة واحدة فيأتي حذفها، ليشملها عامة، و منه قوله تعالى: "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"^(٥)

فالاستعانة تكون في العبادة و على أمور الحياة كلها.

١١- الاتساع: و هو نوع من الحذف للإيجاز و الاختصار^(١)، و مثال ذلك حذف

المضاف و إقامة المضاف إليه كما في قوله تعالى: "وَسَّعِلِ الْقَرْيَةَ"^(٢) و التقدير:

^١ - يوسف: ٢٩، يرجع للإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٧١/٣.

^٢ - الأنبياء: ٣٧.

^٣ - الرعد: ٠٩.

^٤ - الضحى: ٠٣.

^٥ - الفاتحة: ٠٤، يرجع للسيوطي الإتقان في علوم القرآن: ج ١٢/٣.

اسأل أهل القرية، فالقرية دلالة و قرينة حالية، إذ يقول الزمخشري عن هذا السبب: "و هو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال"^(٣)، كما يستفاد غرض بلاغي آخر من هذه الآية، و هو أن اشتهار السرقة لدرجة أن الجمادات والحيوانات لم تنطق فسمعت بنبأ سرقة أخ يوسف -عليه السلام- حسب ما يعتقد إخوته عندما ذهبوا ليكتلوا الكيل و قد أصابهم سنوات جدد و قحط كما روته القصة. و هناك أغراض أخرى تستفاد من بلاغة الحذف، فمثلا على ذلك: "ضيق المقام عن إطالة الكلام إما لتوقع و إما لخوف فوات فرصة، فمن أمثلة حذف المبتدأ لضيق المقام للتوقع قول الشاعر.

قال لي، كيف أنت؟ قلت: عليل سهر دائم و حزن طويل
أي قلت، أنا عليل"^(٤).

تكثر الفائدة باحتمال أمرين عند الحذف: نحو قوله تعالى: "فَصَبِّرْ جَمِيلًا"^(٥)، أي فأمرني صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل و أولى، فالاحتمال الأول "صبر" خبر لمبتدأ محذوف و الاحتمال الثاني "صبر" مبتدأ لخبر محذوف، هذه بعض الأمثلة، جننا بها لمعرفة بعض أغراض الحذف و لا سبيل لاستقصاء كل الأمثلة خشية الإطالة.

المبحث الخامس: أقسام الحذف

١- **حذف الحرف:** يعد الحرف عنصرا أساسيا من عناصر الجملة، و يعتريه حذف، إلا أن هناك من يعتقد أن حذف الحرف فيه بلاغة و إيجاز في حين هناك من النحاة من يرى أن حذفه ليس بقياس^(٦) لأن الحرف ينوب عن الفعل مثلما رأينا ذلك في المبحث الثالث الذي يتحدث عن شروط الحذف، وهذه الفكرة جاءت في الشرط السابع منها: "ألا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر، إذ اعتمد أحد النحاة و هو

^١ - طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٠٢.

^٢ - يوسف: ٨٢.

^٣ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١٧١/٣.

^٤ - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني: ١٢٤.

^٥ - يوسف: ١٨.

^٦ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٧٤.

ابن جني على القياس العقلي، في حين رد عليه أحد المحدثين بقوله: "إنه لا يتفق مع واقع اللغة التي ورد فيها حذف للحروف في مواضع كثيرة، و اللغة لا تخضع في ظواهرها لمنطق العقل"^(١) و من مواضع حذف الحرف هناك حذف حرف الجر كما جاء في قوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ"^(٢) فالأرحام تقرأ منصوبة و مجرورة، و من جرها فإنما يجرها بالباء، و التقدير "أن يسأل بعضكم بعضا بالله و بالأرحام" و من حذف حروف الجر قوله تعالى: "وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا"^(٣) أي اختار موسى منهم، و قوله تعالى: "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ"^(٤) و المعنى، مكننا لهم، و على غرار حروف الجر فتحذف "لا" من الكلام وإثباتها كقوله تعالى: "تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ"^(٥)، أي "لا تزال" فحذف "لا" من الكلام زاده توسعا و إيجازا، كما يحذف حرف النداء من الكلام، و خاصة في القرآن الكريم و له فوائد كثيرة منها تقريب الصلة بين المنادي و المنداد أي بين العبد وربه، و من أمثلة على ذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا"^(٦) و كذلك قوله تعالى: "رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا"^(٧)، قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"^(٨)، و قوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"^(٩)، فهذه النداءات جميعها حذفت منها حروف النداء لغرض أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلم عباده دعاءه و نداءه بغير واسطة، لإشعارهم بقربهم منه، كما

^١ - طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٢٣٦.

^٢ - النساء: الآية: ١٠١.

^٣ - الأعراف: الآية: ١٥٥.

^٤ - الحج: الآية: ٤١.

^٥ - يوسف: الآية: ٨٥.

^٦ - البقرة: الآية: ١٢٦.

^٧ - آل عمران: الآية: ٣٥.

^٨ - يوسف: الآية: ٣٣.

^٩ - الإسراء: الآية: ٢٤.

أن نداء الله دون واسطة يحمل تنزيها و تبجيلا و تعظيما عن الخلق لله وحده، و أنه ليس كبقية الأطراف في أسلوب النداء كما يحمل حذف حرف النداء إيجازا واختصارا وإعجازا، مثلما يحذف حرف النداء تحذف "قد" الواقعة قبل الماضي مثل قوله تعالى: "أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ"^(٢) أي: أنؤمن لك و قد اتبعك الأرذلون، فحذف "قد" أفاد تصوير سرعة اتباع الأرذلين لنوح -عليه السلام- كما زعم قومه الذين كفروا برسالته.

٢- **حذف الكلمة:** تتكون الكلمة في العربية من عدة أصناف و أقسام و أهمها الفعل والفاعل و المبتدأ و الخبر و متعلقات الفعل كالمفعول و الحال و الجار و المجرور، و سيقصر كلامنا في هذا النوع من الحذف على بعض العناصر التي يعترئها الحذف.

١- **حذف الفعل:** يحذف الفعل و يراد إثباته، بشرط وجود دليل عليه، و مثال ذلك: "أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس فـ "أصاب" الآن في حكم الملفوظ به البتة، و إن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت من اللفظ به"^(٣) و إذا دل على الفعل دليل جاز حذفه، وإبقاء فاعله، كما في قولنا: "من قرأ؟" فتقول زيد، و التقدير: "قرأ زيد"^(٤) و قد قسم ابن الأثير حذف الفعل قسمين: أحدهما: يظهر بدلالة المفعول به كقولهم في المثل: "أهلك و الليل" هذا المثل يضرب في التحذير"^(٥)، و مثال هذا النوع قوله تعالى: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ"^(٦)، يريد سبحانه و تعالى أن يوجه الخطاب إلى عباده ليتذكروا الأنبياء الذين أرسلهم ربهم إلى الأقوام السابقة حتى يجعل -سبحانه- طي الأمر قبل ذكر

٢- الشعراء: الآية: ١١١.

٣- ابن جني: الخصائص: ٢٨٤، ٢٨٥/١.

٤- ابن عقيل: شرح ابن عقيل: ٨٦/٢.

٥- ابن الأثير: المثل السائر: ٢٨٥/٢ عن مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٧٨.

٦- الأعراف: الآية: ٨٠.

النبي، كالأمر اللازم الذي لا داعي لذكره، ليعلم عباده أن يتأسوا بهؤلاء الأنبياء و أن يأخذوا العبرة و العظة من قصصهم.^(١)

أما القسم الثاني الذي يحذف فيه الفعل من السياق فهو الذي "لا يظهر فيه قسم الفعل لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه، و إنما يظهر بالنظر إلى ملأمة الكلام"^(٢) ومثال ذلك قوله تعالى: "وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا"^(٣)، فقله تعالى: "لَّقَدْ جِئْتُمُونَا" يحتاج إلى

إضمار فعل أي فقبل لهم لقد جئتمونا، أو فقلنا لهم"^(٤)، فحذف فعل القول لكي يتلاءم الكلام مع بعضه بعضا، إذ هو خطاب موجه من الله إلى عباده الذين عرّضوا عليه صفا، و هناك عدة مواضع يحذف فيه الفعل و ينوب عليه مناب لغرض بلاغي، ومن المواضع ما ينوب عنه المصدر كقوله تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ

حَتَّىٰ إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ"^(٥)، فقد حذف الفعل في الآية و أقيم مكانه المصدر في ثلاثة

مواضع، فالموضع الأول في قوله: "فَضَرْبَ الرِّقَابِ" و تقديره "فضرب الرقاب

ضربا" أو "فاضربوا ضرب الرقاب"، و الموضع الثاني في قوله تعالى: "فَمَا مَتَا"

و تقديره "فإما تمنون منا" والموضع الثالث "وإما فداء" وتقديره "وإما تفدون فداء"،

فمن الأغراض البلاغية في حذف الفعل هو "الاختصار" و إبراز معنى التوكيد

^١ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٢٧٩.

^٢ - ابن الأثير: المثل السائر: ٢٨٧/٢ عن مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٧٩.

^٣ - الكهف: الآية: ٤٨.

^٤ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٢٧٩.

^٥ - محمد: الآية: ١٠٤.

المصدري"^(١)، و يضيف صاحب الإيجاز^(٢) أن حذف الفعل في الموضعين الثاني و الثالث من الآية، و "هما إما منا" و "و إما فداء" الغرض منها كان إرشاد المؤمنين إلى الفضل الذي يريد الله - سبحانه و تعالى- أن يبرز لهم قيمته و يؤكد جزاءه.

٢- **حذف الفاعل:** يتعرض الفاعل للحذف في الكلام، و يحمل حذفه دلالات وأغراض بلاغية عديدة، إلا أن بعض النحاة لا يحبذون حذفه لأنه كالجاء بالنسبة للفعل و كما رأينا في شروط الحذف أن المحذوف لا يكون كالجاء كالفعل و نائبه واسم كان و أخواتها، لكن عندما نعود إلى النص القرآني نلاحظ هذا الشرط ليس دقيقاً، و هذا ما رأيناه في واقع لغة القرآن الكريم، و مثال ذلك قوله تعالى: "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ"^(٣)، و المراد "لقد تقطع الأمر بينكم"^(٤) و من أمثلة حذف الفاعل كذلك قوله

تعالى: "ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ"^(٥)، و التقدير "ثم بدا لهم أمر" و هذا الأمر هو أن يلقوا ببيوسف -عليه السلام- في السجن حتى حين، ويقدر الزمخشري الفاعل المحذوف بقوله: "و المعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي- ليسجنه و الضمير في لهم للعزير و أهله"^(٦)

و لحذف الفاعل أغراض بلاغية منها: تعظيمه و احتقاره و ستره و مناسبة ما تقدمه و العلم به و مجرد الاختصار و التخفيف"^(٧)، فمما ورد في القرآن الكريم و غرضه التعظيم للفاعل المحذوف قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ

مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"^(٨)، هناك فعل مبني للمجهول أو ما يسمى ببناء الفعل

^١ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٢٨١.

^٢ - المرجع نفسه: ٢٨٢.

^٣ - الأنعام: الآية: ٩٤.

^٤ - العلوي: الطراز: ١٠٣/٢ عن مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٨٢.

^٥ - يوسف: الآية: ٣٥.

^٦ - الزمخشري: الكشاف: ٢٥٥/٢.

^٧ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٨٦.

^٨ - البقرة: الآية: ١٠٤.

لما لم يسم فاعله^(١) دلالة على تعظيم الفاعل، فالآية تصف المتقين بأنهم يؤمنون بما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالآية لم تصف المؤمنين على سبيل امتداحهم بأنهم يؤمنون بالكتب جميعا، حاليتها، و هو ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم- و ماضيها، و هو ما أنزل على الرسل من قبله عليهم السلام، و إنما كان ذلك على سبيل امتداحهم بأنهم آمنوا بأن الذي أنزل هذا كله هو الله -سبحانه وتعالى- فهو امتداح و شكر و ثناء بالمنزل لا بالمنزل لأنهم إذا آمنوا بالمنزل كان لزاما أن يؤمنوا بما أنزل -المنزل- فبناء الفعل للمجهول دلالة واضحة على أن الذي أنزل الرسائل جميعها إنما هو الله وحده، ففي هذا الحذف للفاعل غرضان.

أولهما: تعظيم للفاعل و ثانيهما، علم به دون شك و لا ريب.

كما يكون لحذف الفاعل تعظيم و تبجيل فيكون كذلك لغرض آخر كالاختصار و مثل ذلك قوله تعالى: "وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٦٦﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ

الْغَالِبِينَ" ^(٢) فالشاهد في هذه الآية هو حذف فاعل الفعل "قيل" هذه الآية تتحدث عن

اجتماع موسى -عليه السلام- بسحرة فرعون، فالفاعل حذف و أراد المحذوف و هو "الفاعل" أن يتبع السحرة في دينهم إن غلبوا موسى -عليه السلام- و ليس غرضهم إتباع السحرة و إنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى -عليه السلام-". ^(٣)

كما يمكن أن يأتي حذف الفاعل بأغراض بلاغية أخرى كالاختصار والتخفيف و مثل ذلك قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا" ^(٤)

ففاعل "قتل" محذوف و استغنى عن ذكره، فالآية تركز على حكم المقتول ظلما، و تشرع لأهل القتل فعلهم فلا حاجة لذكر القاتل و هو الفاعل، و من ثم كان حذف

^١ - يقصد بـ "ما لم يسم فاعله" عند النحاة ما يعرف بالمبني للمجهول.

^٢ - الشعراء: الآية: ٣٩-٤٠.

^٣ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ص ٢٨٨.

^٤ - الإسراء: الآية: ٣٣.

الفاعل للاختصار و الإيجاز و على هذا نقول أننا ركزنا على حذف الفعل و الفاعل و هما من أهم عناصر الجملة، و حديثنا كان مقتصرًا على الجانب البلاغي في حذفها، كما أن هناك أغراض عديدة تفهم من السياق.

٣- حذف الجملة: مثلما يعتري الحذف الحرف والكلمة فإنه يعتري كذلك الجمل فيحذفها، و المقصود بالجملة التامة التي تفيد معنى مستقلا و لا تكون جزء من كلام آخر، و هذا الضرب من الحذف مطرد في كلام العرب و في القرآن الكريم، و مثل ذلك قوله تعالى: "وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ" ^(١) و التقدير "فضرب فانفجرت، فحذفت جملة ضرب"، و حذفها يشير

إلى سرعة إجابة موسى -عليه السلام- و امتثاله لأمر ربه، ^(٢) و منه كذلك قوله تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ^(٣) فحذفت جملة الحال و التقدير: "و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل و هما يقولان: ربنا تقبل منا، و هذا الحذف يصدر لنا المشهد حيا بارزا، مشاهدا و كأنك تراه الآن و تشاهد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و هما يدعوان بهذا الدعاء، و من الأغراض الفنية و البلاغية في هذا الموضع من الحذف هناك "الانتقال من الخبر إلى الدعاء من إعجاز فني بارز يكمن وراء طي جملة الحال" ^(٤) و من كلام العرب قول المتنبي. ^(٥)

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم و أتيناها على الهرم
أي: و أتيناها على الهرم فساءنا و الحذف في البيت ينبئ بما في نفس الشاعر من ضيق و ألم من إدبار الدهر عنه و عدم تحقيق ما يصبوا إليه من مجد و آمال. ^(٦)

^١ - البقرة: الآية: ٦٠.

^٢ - بسبوني عبد الفتاح: علم المعاني: ١٩٣.

^٣ - البقرة: الآية: ١٢٧.

^٤ - بسبوني عبد الفتاح: علم المعاني: ١٩٣.

^٥ - المتنبي: شرح ديوانه: شرح عبد الرحمان البرقوني: ٤٢٤/٢.

^٦ - بسبوني: علم المعاني: ١٩٤.

٤- **حذف أكثر من جملة:** أما النوع الآخر هو حذف أكثر من جملة و هو مطرد كذلك في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: " وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ^(١)، و التقدير فأرسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا إليه فأتاه و قال له، يوسف أيها الصديق أفتنا وهناك انقطاع مثل قوله تعالى: "فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا" ^(٢)، والتقدير فأتيناهم فأبلغناهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا، و الجدير بالملاحظة أن هذا النوع من الحذف يكثر في النظم القرآني و خاصة إذا كان النص القرآني في سياق قصصي . فكما هو معلوم أن القرآن الكريم لا يهتم بالتفصيلات الجزئية للقصة وتعرف من خلال السياق، و لكن القصص القرآني يركز على العناصر الجوهرية في الحدث القصصي القرآني، كما أن حذف أكثر من جملة و خاصة في القرآن الكريم يحمل عدة أغراض بلاغية و دلالية، ففي حذفها إثارة لذهن المخاطب وتحريك لمشاعره و إشراك للمخاطب في تصوير الجزء المحذوف من الكلام ولاسيما في القصة، بعدما يقف المخاطب على القرائن الدالة على المحذوف.

و مجمل القول في هذا الجزء، إن ظاهرة لغوية كظاهرة الحذف تتميز باطرادها في كلام العرب و تشعب أبوابها ، فإذا جئنا إلى تحديد مفهومه فإنه متعدد من اقتطاع إلى احتباك إلى اختزال إلى إسقاط أما إذا جئنا إلى أسبابه فهي كثيرة و أهمها كثرة الاستعمال و طول الكلام أما إذا انتقلنا إلى شروطه فأبرزها أن يتوفر دليل على المحذوف، و ألا يكون المحذوف كالجزء، أما فوائده فهي كثيرة لا تحصى، و ما ذكرناه هو على سبيل المثال لا الحصر، و أما الجزء الأخير فكان حول أقسام الحذف إذ قسمه العلماء إلى حذف حرف و حذف كلمة و حذف جملة و حذف أكثر منها، وتركيزنا في هذا المبحث كان على الجانب البلاغي في حذف العناصر السابقة الذكر بحكم صلته ببحثنا المتناول للجانب البلاغي للحذف.

^١ - يوسف: الآية: ٤٥، ٤٦.

^٢ - الفرقان: الآية: ٣٦.

الآ-dž-ل-ال-ال-P :

الآ-ذ-ل-د-ع-ال-ق-ا-ه

ال-ج-ر-ج-ا-ن-ي

حظيت ظاهرة الحذف باهتمام البلاغيين فتعرضوا لها بالتفصيل في كثير من مصنفاتهم إذ نجد أنهم راعوا الجانب الجمالي و النفسي و البلاغي الذي يؤديه الحذف، واضعين قيودا و شروطا أساسية كوجوب دليل على المحذوف، و ألا يؤدي إلى اللبس، و ما إلى ذلك من الشروط التي وضعوها.

و قد اشتمل مجال بحثنا على رؤية عبد القاهر لظاهرة الحذف، و ربطها بنظرية النظم إذ خص بابا خاصا للحذف في مصنفه "دلائل الإعجاز"، و كانت نظريته تختلف عن وجهات نظر غيره من البلاغيين، فربط الحذف بنظريته المسماة بالنظم، و كشف عن كنه هذا العلم و أسرارها الذي تميز به مؤلفه.

المبحث الأول: الحذف وجه من وجوه النظم

قبل التطرق إلى ظاهرة الحذف لدى عبد القاهر حسبنا أن نشير إلى الحديث عن نظرية النظم التي تعتبر المدار الرئيسي للظاهرة، فالحذف يعد وجها من أوجه النظم، إذ أن الناظم لا ينبغي بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب من أبواب النحو، « و يتصرف في التعريف و التنكير و التقديم و التأخير في الكلام كله، و في الحذف و التكرار و الإضمار و الإظهار، فيضع كل من ذلك مكانه و يستعمله على الصحة و على ما ينبغي له»^(١).

فالحذف ينتمي إلى أشكال النظم الذي جعله كالميزان يزن به جيد الكلام من رديئه، فيقول عبد القاهر: "إنك إذا عمدت إلى أبيات توصفوها بالحسن من أجل النظم فانظر فيها فإذا رأيتها قد راققتك و كثرت عندك، و وجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السبب و استقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم و آخر، و عرف و نكر، و حذف و أضمر، و أعاد و كرر، و توخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو"^(٢).

فحسن الكلام و نظمته يتعلق بحسن تصرف المتكلم في استعمال أوجه الكلام من حذف أو ذكر و هذا يتوقف على المعاني المراد التعبير عنها و إيصالها للسامع مع مراعاة أحكام النحو و أصوله متقيدا بها.

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٢٧.

^٢ - المرجع نفسه: ١٣٠.

فنظرية النظم تعتمد أساسا على العلاقة الوطيدة بين "اللفظ" و "المعنى" من ناحية إذ جاءت النظرية كبديل عن الآراء و الأفكار التي كانت موجودة قبل عبد القاهر الجرجاني و عند بني جيله فيما يختص باللفظ و المعنى، و من العلماء الذين أشاروا إلى النظم قبل عبد القاهر سيبويه إذ تحدث عن معنى النظم، و ائتلاف الكلام و عقد له فصلا سماه "هذا باب الاستقامة من الكلام، و الإحالة منه مستقيم حسن ومحال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب"^(١)، و الجاحظ يرى النظم في تلاحم الأجزاء و حسن السبك و له كتاب مفقود في نظم القرآن^(٢)، و ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) كانت له اهتمامات بالعلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة، و قد أفرد بابا لتأويل الحروف التي ادعى على القرآن بها الاستحالة و فساد النظم^(٣)، و الباقلاني الذي يرى أن بلاغة القرآن تقع بوجه من الوجوه العشرة التي ذكرها الأقسام البلاغة، فالتشبيه عنده ليس معجزا و لا التجنيس و لا المطابقة و إنما الإعجاز للألفاظ و النظم و التأليف^(٤)

و يرى عبد الجبار القاضي (ت ٤١٥ هـ) أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة و لا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة، صفة و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، و قد تكون بالإعراب^(٥).

أما عند عبد القاهر فالنظم هو تعليق الكلام بعضه ببعض إذ قال: "معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلام بعضها ببعض، و جعل بعضها بسبب من بعض"^(٦).

إن ترتيب الألفاظ في النطق تابع إلى ترتيب المعاني في النفس مع مراعاة قواعد النحو و أصوله و أحكامه إذ يقول: "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع

^١ - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٧٥.

^٢ - المرجع نفسه: ٣٧٥.

^٣ - المرجع نفسه: ٣٧٥، ٣٧٦.

^٤ - المرجع نفسه: ٣٧٧.

^٥ - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٧٨.

^٦ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٥٧.

الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".^(١)

فقد تنبه لأمر غفل عنه الكثير من البلاغيين و هو علاقة المرسل بالرسالة أو علاقة المبدع بما أبدع، فالألفاظ التي نتلقاها مسموعة أو مكتوبة تترتب على نحو مخصوص، و يراد من المتكلم أن يكشف عن تركيب المعاني في نفسه، و من ثم يصبح كل اختيار لتركيب دون تركيب له مغزاه، و مدلوله، و خواصه التي يفقدها إذا تغير الترتيب، فالعلم بمواقع هذه الألفاظ علم بمواقع معانيها في نفس المتكلم، و من هنا لابد أن تلتبس المزية والفضيلة داخل التركيب على النحو الذي أريد له أن يكون^(٢)، فالأساس الذي انطلق منه الجرجاني تمثيل في أركان ثابتة يقوم عليها النظم و هي: المعنى و صورة المعنى، التعليق و التعليق، النحو و معاني النحو، وهذه المصطلحات أخرجت من مصنفه "الدلائل"، و لشرح و توضيح هذه الأركان التي أشار إليها عبد القاهر يجب تتبع المراحل التي يتم بها إنشاء الكلام في ذهن فالتكلم عندما يعبر يمر بمرحلتين، مرحلة التخطيط لما يريد أن يقول و مرحلة التنفيذ أي النطق و هما أمران يتمان في سرعة فائقة دون شعور^(٣)، و هذه المراحل يختص بها علم اللغة النفسي، و مرحلة التخطيط بدورها تمر بمرحلتين هما:

أ- المرحلة الأولى: تهيئة المعنى المراد التعبير عنه: وفيها يقول عبد القاهر «أن جميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، و يصرفها في فكره، و يناجي بها قلبه، و يراجع بها عقله، و توصف بأنها مقاصد و أغراض»^(٤)، بمعنى أن الكلام في بادئ الأمر يكون على شكل أفكار تخطر ببال صاحبه، فالتكلم يهيئ المعاني التي يريد إرسالها و تكون على شكل خواطر و يمكن أن تخطر ببال أي واحد منا، و في مرحلة لاحقة يستحضر المتكلم الوضع المتعارف بينه و بين مخاطبه و هو اللغة التي يختزنها ضمناً في عقله، و هذه اللغة عبارة عن صور تجريدية لبنية التركيب اللغوي، و يبدو أن الجرجاني

^١ - المصدر نفسه : ١٢٧.

^٢ - عبد العزيز عتيق: البلاغة العربية في علم المعاني : ٢٦-٢٧.

^٣ - داود عبده : دراسات في علم اللغة النفسي : ٩٠.

يختصر هذه البنية في صور ثلاث يسميها: "صور التعليق"، "فالتعليق ثلاث أقسام: تعلق اسم باسم، و تعلق اسم بفعل و تعلق حرف بهما".^(١) ، إن عمليتي تهيئة المعاني الأولية و استحضر الوضع اللغوي تحدثان عفويا و لا تحتاجان إلى إعمال الفكر فهي لا شعوريا و عفويا.

ب- المرحلة الثانية: ترتيب المعاني في اللفظ: في هذه المرحلة يقوم المتكلم بأهم عملية و تسمى النظم، و فيها يتم المزج بين المعاني الأولية و صور التعليق و تسمى هذه العملية بـ "التعليق" إذ يقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، و جعل بعضها بسبب من بعض"^(٢) ، في هذه المرحلة يحتاج المتكلم إلى إعمال فكره، و هنا تظهر براعته و قدرته في التصرف بقواعد النحو و يختار الألفاظ الأقرب للدلالة على المعاني المراد التعبير عنها، فالنظم مرتبط بغرض المتكلم، و إن التصرف بمعاني النحو ليس معناه الصواب، و مطابقة الكلم للقواعد و التحرز من اللحن أو زيغ الإعراب، و إنما يلجأ الناظم أو الناثر للتقديم أو التأخير أو التعريف أو التأكيد أو الاستئناف، وما شابه ذلك بطريقة ناتجة عن إعمال الفكر لتلاؤم هذه الأساليب المعنى"^(٣) ، فمثلا الأصل في التركيب اللغوي أن تظهر جميع عناصره مرتبة وفق ما تقتضيه قواعد اللغة، لكن قد يلجأ المتكلم إلى حذف أحد هذه العناصر من التركيب لفظا مع أنها مرادة معنى، لأن هذا الحذف يخلق معان و لطائف إضافية، لم تكن موجودة من قبل فيقوي بذلك معناه، و يبلغ غرضه بأقل عبارة و أوجز لفظ، و منه "يتضح أن تصرف المتكلم بقواعد النحو هو الذي يشخص المعاني"^(٤) ، و بهذه العملية تتضح صورة المعنى من ثم يختلف المتكلمون، فمنهم من يبدع فيها فتأتي عجيبة تسحر السامعين و منهم من تأتي صور الكلام ساذجة مبتذلة لا صفة فيها و لا إبداع، و يعد الحذف بابا من أبواب علم المعاني، إذ يندرج تحت إطار معنى الإيجاز و هذا الأخير ينقسم إلى قسمين:

^١- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٥٧.

^٢- المصدر نفسه: ٥٧.

^٣- إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص: ٤٣.

^٤- المرجع نفسه: ٤٤.

إيجاز بالقصر و إيجاز بالحذف، و أشاد البلاغيون كثيرا بهذه الظاهرة و كل واحد نظر إلى الحذف من ناحية فوائده و أغراضه في الكلام، و عبد القاهر كانت له رؤية خاصة في فوائده الحذف و أغراضه، و هذا ما سنتطرق إليه في المبحثين الآتيين و هما: حذف المبتدأ و حذف المفعول به.

المبحث الثاني: حذف المبتدأ

لقد أفرد عبد القاهر بابا خاصا بظاهرة الحذف في مصنفه "الدلائل" منوها ببلاغته، و عجائبه النفسية إذ يقول "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"^(١) ، فهذه المقدمة التي استهل بها عبد القاهر حديثه عن الحذف تعد بيانا على الميل الشديد لهذا الباب، و ذلك لما فيه من الأسرار و العجائب و الدقائق و اللطائف، ففي الحذف يظهر سحر البيان و بلاغة الأسلوب، و الاعتماد على العقل في إدراك المعاني و استحضار ما حذف.

و يورد عبد القاهر في معرض حديثه عن الحذف أبياتا شعرية، لها من الروعة و البلاغة لوجود الحذف فيها، ما لا نجده لو ذكر ما حذف منها و من ذلك قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة^(٢)

دار لمروة إذ أهلي و أهلهم بالكانسية نرعى اللهو و الغزلا

كأنه قال: تلك دار حيث أضمر المبتدأ و رفع ما بعده، فكان أبلغ في النفس من ذكره، و يقول صاحب الدلائل: "و كما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فينصبون، كقول الشاعر ذي الرمة"^(٣)

ديار مية إذ مي تساعفنا و لا يرى مثلها عجم و لا عرب

أنشده بنصب "ديار" على إضمار فعل كأنه قال: أذكر ديار مية"^(٤) ، فحذف الفعل لاشتهاره و كثرة استعماله عند العرب، و كما عرفنا سابقا أن من الدواعي، الحذف

^١- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٧٧.

^٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة: شرح محمد محي الدين عبد الرحيم: ٤٩٧.

^٣- البيت أورده سيبويه في الكتاب: ٢٨٠/١.

^٤- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٧٨.

هو كثرة استعماله اللفظ و جريانه على اللسان و هي سنة من سنن العرب في كلامها و هذا الأسلوب مشهور عند العرب و لاسيما في الفعل "أذكر" و مثل ذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً"^(١) ، فحذف الفعل:

أذكر و التقدير: "و أذكروا إذ قال موسى لقومه"، و هذا كثير في القرآن الكريم، فذكر الديار و الأطلال و المنازل و البقاع كثير عند العرب و لاسيما في الشعر، فحذف الأفعال يدل على دلالة الحال و يورد عبد القاهر الكثير من الشواهد الشعرية والأبيات مفردة التي ورد فيها حذف المبتدأ، و يأتي حذف المبتدأ في كلام العرب وفي القرآن الكريم مطردا، و قد أشار أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: "و حذف المبتدأ مطرد في القرآن الكريم و في كلام العرب"^(٢) ، و يعود اطراده إلى تعداد أغراضه البلاغية في حذفه، و من المواضع التي يكثر فيها حذفه و التي أقرها جمهور البلاغيين كالاستئناف"^(٣) مثلا و الذي يعتبر من أشهر الأساليب التي يستعملها العرب في كلامهم.

و الأصل في الكلام أن يذكر المبتدأ كركن أساسي في الجملة، لكن أحيانا يحذف بوجود قرينة تدل عليه إذ لا حذف بلا قرينة، و يكون هذا الحذف يضيف معنى قد لا يستفاد منه عند ذكره، و يساهم في عملية الإبلاغ و الإفادة و يعدد عبد القاهر بعض المواضع التي يكثر فيها حذف المبتدأ منها القطع و الاستئناف إذ يقول: "يبدؤون بذكر الرجل و يقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول و يستأنفون كلاما آخر، و إذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ"^(٤) ، بمعنى أن يؤتى بكلام بتقديم جزء منه ثم قطعه بكلام آخر ثم يستأنف بعد ذلك الكلام الأول، و مثل عبد القاهر لذلك بقول الشاعر:^(٥)

اعتاد قلبك من ليلي عوائده و هاج أهواءك المكنونة الطلل

^١- البقرة: ٦٧.

^٢- مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٣١٦.

^٣- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية: ٣١٣.

^٤- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٧٨.

^٥- ذكر محقق الدلائل أن البيتين وردا في "معجم الشواهد العربية" لعمر بن أبي ربيعة و ليستا في ديوانه.

ربع قواء أذاع المعصرات به و كل حيران سار ماؤه خضل**

قال: أراد: ذاك ربع قواء، أو هو ربع^(١) ، فحذف المبتدأ في البيت الثاني يعود إلى غرض المتكلم الذي يكمن في شهره المبتدأ، فالطلب مألوف ذكره، فالمحذوف - الطلب- حاضر و معروف في نفس الشاعر و باله، فالشاعر قد استغنى عن ذكر المحذوف وهو "الطلب" في اللفظ في الكلام، فهذا الشاهد، جاء فيه الحذف في أسلوب القطع والاستئناف.

إن نظرة عبد القاهر في حذف المبتدأ يرتبط ارتباطا وثيقا بغرض المتكلم وهدفه المراد إيصاله للسامع.

إذ يرجع عبد القاهر فضل الحذف و بلاغته في كلام العرب في كثير من الأحيان إلى نفسية المتكلم، فامتناع ترك الكلام يرجع إلى غرض المتكلم^(٢) ، وأتى بشواهد كثيرة لم يقدم لها عللا و أسبابا في مزية الحذف الذي اعتراها، لكنه طلب من السامع أو القارئ أن يتمتعها تمعنا دقيقا سيجد فيها أسراراً و دقائق عجيبة يفقد لدى ذكر العناصر التي حذفت و لاسيما المبتدأ و المفعول به يقول عبد القاهر: "و إذ قد عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه و حذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا و أنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، و ترى إضماره في النفس أولى و أنس من النطق به".^(٣)

فالسياقات البلاغية التي تستدعي حذف المبتدأ و المفعول كثيرة و هي مثلا ما

ورد في "الدلائل" قول لشاعر عمرو بن معدي كرب: ^(٤)

و علمت أني يوم ذا لك له منازل كعبا و نهذا
قوم إذا لبسوا الحديد د تتمروا حلقا و قدا

* القواء : المكان القفر ، أذاع المعصرات: هي الرياح العاصفة . ماؤه خضل: يحمل ماء غزيرا.

^١- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٧٧.

^٢- الجرجاني: أسرار البلاغة: ٤٢١، ٤٢٢.

^٣- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٣.

^٤- المصدر نفسه: ١٧٨، البيان ذكرها محمد عبده في حاشيته.

فالشاعر هنا حذف المبتدأ "هم" أو "قومي" لغرض نفسي يكمن في إعجابه و افتخاره بقومه كما يحتمل هذا السياق غرض بلاغي و هو اشتهاار قومه بين الأقسام، فلشهرته حذف المبتدأ و بذكره تذهب تلك المعاني التي تحققت في الحذف.

و من ذلك قول الشاعر محمد بن حنبل: ^(١)

هم حلوا من الشرف المعلى و من حسب العشيرة حيث شأوا
بناة مكارم و أساة كلـم دماؤهم من الكلب الشفـاء

إن ترك و حذف المسند إليه -المبتدأ- من الكلام راجع إلى أغراض بلاغية، إما راجع لاحتراز عن العبث و السأم، و إما لتخييل أن في تركه تعويل على شهادة العقل، وإما لضيق المقام أو لشهرة المحذوف، فحذف المبتدأ "هم" صرف اهتمام السامع إلى المذكور دون الاهتمام بالمحذوف.

و من الأمثلة التي تظهر لنا سحر الحذف و بلاغته قول الشعر الجاهلي أسيد ابن العنقاء الفزاري ^(٢) ، الذي أنشد عميلة الفزاري الذي قاسمه ماله.

رأني على ما بي عميلة فاشتكى إلى ماله حالي أسر كما جهر

غلام رماه الله بالخير مقبلا له سيمياء لا تشق على البصر ^(٣)

فالشاعر هنا في هذا السياق يمدح صديقه الذي قاسمه ماله عندما رآه محتاجا، فهذا الاستعمال من الحذف مطرد و وارد بكثرة في العربية عند مواضع المدح أو الذم أو الترحم، ففي هذا السياق يثني الشاعر على صديقه لبلوغه الصفة التي أطلقها عليه جراء خصاله و تكرمه عليه، و الدليل هو حذف المبتدأ "هو" أو "عميلة" كما يمكننا أن نستفيد غرضا آخر و هو أنه غلام ليس كباقي الغلمان، و أن ذلك الوصف لا يصلح لغيره، و هذه عرف حسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة، و لكن ذكر المبتدأ أبطل المبالغة، و هذه الطريقة تعرف بالقطع و الاستئناف، و مثل هذه النموذج من السياق ألفيناه أيضا في القرآن الكريم كقوله تعالى: "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ" ^(٤) ،

^١- المصدر نفسه: ١٧٨، و عزيت أن البيتين في شرح الحماسة إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري، شرح الحماسة ٩٦/٤،

^٢- أساة: جمع أس: طبيب . الكلم: الجرح- و كانوا يزعمون أن شفاء الذي عضه الكلب أن يسقى من دم الملك.

^٣- المصدر نفسه: ١٧٩.

^٤- رماه الله : وضع فيه، السيمياء: العلامة الهيئة الحسنة، لا تشق على البصر، أي يفرح به حتى ينظر إليه.

^٥- سورة محمد: الآية: ١٢٤.

فتحتمل الآية وجهين: الأول: إنها مبتدأ أي طاعة و قول معروف أمثل، و يمكن أن يجعل ذلك أيضا من باب المبتدأ.

و من سياقات المدح و الثناء و الافتخار التي يأتي من أجلها الحذف قول موسى بن جابر: ^(١)

إذا ذكر ابنا العنبرية لم تضق ذراعي و ألقى باسته من أفاخر
هلالان حمالان في كل شتوة من الثقل ما لا تستطيع الأباعر

فالشاعر هنا يفتخر بأبائه و أجداده و وصفهما بالهلالين المقصود بهما في هذا الموضع الغلامان الجميلان، و هذا موضع قطع و استئناف، و هو مشهور عند العرب حين افتخارها و مدحها، و ذكر الديار و المنازل و الأطلال إذ يقول عبد القاهر: "و هذه طريقة مستمرة لهم، إذ ذكروا الديار و المنازل" ^(٢) ، و ذكر التبريزي أنهما في الاشتهار و الانتفاع بمكانهما بمنزلة هلالين، و هنا فائدة أخرى عند حذف المبتدأ تحققت و هي أن الأبوين جعلهما في الوصف كالهلال وصفا كاملا و تاما، في حين إذا كان ذكر المبتدأ يصبح المعنى مغاير للمعنى الأول.

فغرض المتكلم هو أي يحدد مواطن الحذف و مواطن الذكر، فهذا الأساس في نظرة عبد القاهر للحذف، فالمتكلمون يختلفون من حيث أغراضهم و نواياهم في الكلام، و قبل التطرق إلى مواضع أخرى يطرد فيها حذف المبتدأ تجدر الإشارة بنا الوقوف عند نظرة أحد الدارسين المحدثين لإنجاز عبد القاهر في هذا الباب من أبواب علم المعاني، إذ يرى محمد عبد المطلب: "إن عبد القاهر تناول هذه السياقات في جانبها التطبيقي دون تقنين بل اعتمد على تتبع الاستعمال الأدبي و حاول رصد المجال الذي لاحظ فيه أنماط الحذف، و ربط ذلك بنظريته في النظم" ^(٣).

و في الفكرة نفسها يضيف عبد المطلب أن "الأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء" ^(٤) ، فمنهج عبد القاهر كان خاصا و مميزا في دراسته لظاهرة الحذف، إذ عمد إلى استخراج السياقات التي

^{١-} موسى بن جابر بن الأرقم اليماني شاعر جاهلي لغراني: الدلائل: ١٧٩.

^{٢-} الجرجاني: الدلائل: ١٧٨.

^{٣-} محمد عبد المطلب: البلاغة الأسلوبية: ٣١٣.

^{٤-} المرجع نفسه: ٣١٣.

ورد فيها الحذف مستتباً الأسرار النفسية و الأغراض البلاغية لدى المتكلم عند حذفه لعنصر من عناصر الجملة، إذ قال الشاعر أبو جزالة:^(١)

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى و لا عرف إلا قد تولى و أدبرا

فتى حنظلي ما تزال ركابه تجود بمعروف و تنكر منكرا

فالحذف حقق فائدة جليلة هي مدى إعجاب الشاعر بالفتى كما تضاف لها فائدة أخرى و هي جمع و ضم صفات الفتيان في هذا الفتى لكن عند ذكر المبتدأ " ابن ناشرة " أو " هو " تذهب هذه المزية على الفتى و يخرج كلاماً مبتذلاً رثاً لا صنعة فيه. وأما قول الشاعر:^(٢)

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن و إن هي جلت

فتى غير محبوب الغنى عن صديقه و لا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

فورد هنا حذف المبتدأ و تقديره "هو" أو "عمر" لغرض أن السامع عالم بالمحذوف و إذا ذكر فإنه يصبح هناك عبث، كذلك ذكر المبتدأ في هذا الشاهد يكون ثقلاً، و كذلك من الأغراض و المواضع التي يحدث فيها الحذف للمبتدأ هو الضيق وتبرم النفس من ذكره و إحساس بقلق و تذمر و مثل ذلك قول الشاعر:^(٣)

العين تبدي الحب و البغضا و تظهر الإبرام و النقضا

درة ما أنصفتني في الهوى و لا رحمت الجسد المنضى

غضبي و لا والله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

يقول في جارية كان يحبها و سعي به أهلها، فمنعوها منه، و المقصود قوله "غضبي" و ذلك التقدير "هي غضبي" أو "غضبي هي" لا محالة، إلى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار المحذوف، و كيف تأنس إلى إظهاره، و ترى الملاحظة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به،^(٤) و من السياقات الحذف لغرض الإعجاب والتغزل قول جميل بثينة:^(٥)

و هل بثينة يا للناس قاضيتي ديني و فاعلة خيرا فأجزئها

^١- الجرجاني: الدلائل: ١٨٠، هو الوليد بن التميمي شاعر إسلامي بدوي حضري.

^٢- المصدر نفسه: ١٨٠.

^٣- المصدر نفسه: ١٨٣، الشاعر هو محمد بن سعد الكاتب التميمي، ديوان الحماسة لأبي تمام: ٦٩/٤.

^٤- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٣.

^٥- المصدر نفسه: ١٨٤.

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ري العظام بلين العيش غاذيها

فمن الأغراض النفسية المبتدأ "هي" أو "بثينة" إعجاب و شوق الشاعر لمحبوته "بثينة" و التغني بجمالها كما يستفاد معنى آخر و هو تعيين الأمر للمبتدأ و عدم احتمال غيره مثل صفة "هيفاء" فهي -بثينة- تتميز بها من غيرها من بنات حواء فهي صفة مقتصرة عليها و هذا على وجه المبالغة لكن إذا ذكر المبتدأ تذهب تلك المزية التي استشفيناها في حذفه، و لقد أقر البلاغيون هذا الغرض البلاغي و عرف لديهم باقتصار المعنى على المحذوف و لا يتعداه إلى غيره . فالصفات الجمالية التي أفردها الشاعر جميل لبثينة لا تقتصر إلا عليها.

و من الشواهد التي أتى بها عبد القاهر قول "الأقيشر"^(١) ، في ابن عم له موسر سأله فمنعه، و قال: كم أعطيك مالي و أنت تنفقه فيما لا يعينيك؟ و الله لا أعطيك فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم و هو فيهم، فشكاه إلى القوم و ذمه، فوثب إليه ابن عمه، فلطمه فأنشأ يقول:^(٢)

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه و ليس إلى داعي الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه و ليس لما في بيته بمضيع

فحذف المبتدأ لشعور المتكلم بضيق و تذمر و تبرم من ابن عمه و هو المحذوف، لأن ذكر المحذوف يبعث في النفس الكره و القلق و الملل، فالسياق هنا "سياق ذم"^(٣) ، و لذا عمد الشاعر إلى حذف المبتدأ و هذا يعود إلى كرهه لابن عمه لما جرى له معه، كما نرى أن هناك غرضاً بلاغياً و يتمثل في "تأتي الإنكار عند الحاجة" فالشاعر عندما ضمن حضور ابن عمه في القوم إذ توفرت القرينة وهي حضوره بين قومه، قام ينشد الأبيات أمام الملأ، فإذا فرضنا قام المقصود بالرد على نفسه أنكر المنشد قصد الذم لابن عمه، و من ثم يمكنه أن يبرئ نفسه مما فيه.^(٤)

^١- الأقيشر الأسدي: هو المغيرة بن عبد الله شاعر كوفي مات ٨٠ هـ و هو له في الخزائن ٢/ ٢٨١.

^٢- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٨٢.

^٣- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية: ٣١٣.

^٤- مختار عطية: الإعجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٣١٦.

و من الشواهد الجيدة التي أتى بها عبد القاهر للاستدلال على ما ذهب إليه في نظريته للحذف نظرية النظم، قول آخر يخاطب امرأته و قد لامته على الجود:^(١)

قالت سمية قد غويت بأن رأيت حقا تناوب مالنا و وفود
غي لعمرك لا أزال أعــــود ما دام مال عندنا موجود
المعنى ذاك غي لا أزال أعود إليه فدعي عنك لومي".

ففي هذا الشاهد تم حذف المبتدأ و عند حذفه تحقق غرض كان الشاعر يريد أن يوصله إلى السامع و هو يتمثل في إصراره على الجود ما دام حاله ميسورا وماله موفورا، كما يمكننا أن نستشف غرضا آخر يتعلق بنفسيته و هو استهجانه للوم زوجته و استنكاره لها فقد وصفته بالغي عند كرمه حين رد عليها بأن -لومها عليه- هو غي في حد ذاته.

إن هناك عدة سياقات في حذف المبتدأ فهو يحذف لأغراض لا حصر لها فمزاياه عديدة و بدائعه لطيفة.

لكن هذه الأغراض و المزايا لا تظهر من أول وهلة للسامع عند قراءتها أو سماعها، و لكن بعد الإعادة و التركيز التمعن لهذا نجد صاحب الدلائل يحث السامع إلى التأمل فيها إذ يقول: "فتأمل الآن هذه الأبيات كلها و استقرها واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك، و إلى ما تجده من اللطف و الظرف، إذا مررت بموضع الحذف منها، ثم قلبت النفس عما تجده، و ألطفت النظر فيها تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر و أن تخرجه إلى لفظك، و توقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت، و أن رب حذف هو قلادة الجيد، و قاعدة التجويد".^(٢)

و يذكر عبد الفتاح لاشين أنه لا يخلو تركيب فيه حذف من سر يقول: "والحق أنه لا يخلو تركيب فيه حذف من سر، يفتح مجال البحث الواسع أمام العقل البشري على مر العصور، فإن حذف المبتدأ لهدف، و إن ذكر فلغرض"^(٣) ، فأمر حذف المبتدأ غريب بحيث لا يظهر للسامع لأول وهلة لدى سماعه للكلام بل يظهر الحذف

^{١-} عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٨٣، أثبتت الفتحة "وفود" بدل "وفودا".

^{٢-} المصدر نفسه: ١٨٢.

^{٣-} عبد الفتاح لاشين: التراكييب النحوية من وجهة بلاغية: ١٧٢.

بعد نظر دقيق وتمعن عميق فهو: "عملية فكرية تحتاج إلى إجهاد فكر و إعمال عقل و قوة بصيرة".^(١)

و نختم هذا الجزء بشاهد للشاعر عبد الله الزبير الذي يذكر غريما قد ألح عليه:

عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اعتراض الشواغل
فدب دبیب البغل يألم ظهره و قال تعلم أنني غير فاعل
تثأب حتى قلت: داسع نفسه و أخرج أنيابا له كالمعاول
الأصل: حتى قلت: هو داسع نفسه"^(٢) فالشاعر تجنب ذكر المبتدأ "هو" لتجنب
الثقل و الاستهجان، و هذا الغرض توقف على غرض المتكلم.

و خلاصة ما جاء في حذف المبتدأ أن عبد القاهر جاء بعدة سياقات ورد فيها
حذف، و كل سياق يستنتج منه غرض بحسب ما يريده المتكلم و يقصده و من أشهر
الأغراض: الاحتراز عن السأم و العبث و شهرة المحذوف و معرفة السامع له
و كرهه له و احتقاره للمحذوف، و ضيق المقام، و تأتي الإنكار عند الحاجة، تجنب
الإطالة في الكلام، و هذه الأغراض يراعى فيها مقتضى المقام و حال السامع.
و إن عبد القاهر عالج حذف المبتدأ من حيث دلالة البلاغية لا من حيث نوعه
مثل ما فعله النحاة، كما أنه لم يقعد بالشكل الذي قام به البلاغيون بعده من تعقيد
وتقنين و تصنيف الأغراض البلاغية للحذف.

ففي هذه الطائفة من الشواهد السالفة الذكر يريد عبد القاهر من القارئ أن
يشركه معه في استخراج المعاني النفسية الخفية، و يحمله على أن يخرج التجربة
بنفسه و يرهن السمع في الاستماع إلى صوت النص إليه هو نفسه عبد القاهر.^(٣)
إن السياقات البلاغية متعددة حسب غرض المتكلم، فالحذف للمبتدأ لم يأت
هكذا دون هدف بلاغي و مزية فضلى، فكاتب دلائل الإعجاز يلح على القارئ أن
يتأمل الشواهد و يستقرئها شاهدا تلو الآخر، إذ قال: "فتأمل الآن هذه الأبيات كلها،

^{١-} المرجع نفسه: ١٧٤.

^{٢-} عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٢.

^{٣-} شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٧٦.

و استقرها واحدا واحدا و انظر إلى موقعها في نفسك، و إلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم قلبت النفس عما تجد و ألطفت النظر فيما تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر و أن تخرجه إلى لفظك، وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، و أن رب حذف هو قلادة الجيد، و قاعدة التجويد".^(١)

فمنهج عبد القاهر كان متميزا في نظريته للحذف، فهو لم يعد قانونا -و لا قانونا ثابتا لا يتغير في استخراج الأغراض النفسية للحذف- و لم يحاول تقدير المحذوفات كما فعل النحاة، بل أعطى للحذف مفهومه الدلالي و الفني الجمالي في التعبير الأدبي عما يجيش في النفس من مشاعر و أحاسيس و عواطف، و لم يقيد عبد القاهر القارئ بل ترك لنفسية المتلقي لأن تذهب كل مذهب لتستخرج الأغراض الجمالية في الحذف لأي عنصر من عناصر الكلام و سنختم هذا الجزء بقول الشاعرة زينب بنت الطثرية في رثاء أخيها يزيد:^(٢)

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري	مقيما و قد غالت يزيد غوائله
فتى قد قد السيف لا متضائل	و لا راهل لباته و بأدله ^(٣)
فتى لا ترى قد القميص بخصره	و لكنما توهى القميص كواهله
فتى ليس لابن العم كالذئب أن رأى	بصاحبه يوما دما فهو آكله
يشارك مظلوما و يرضيك ظالما	و كل الذي حملته فهو حامله

فالمحذوف هنا المبتدأ و تقديره "هو" أو "يزيد" و المتأمل لهذه الأبيات يستشف لهف الشاعرة على أخيها و عمق حزنها عليها بهذا التتابع لكلمة "فتى" في صدر كل بيت و الاستغناء عن المبتدأ "هو" قبله، كما جاشت عواطفها فانفجرت نبعاً دافعا في موجة واحدة، توالى فيها مناقب الفقيد، و مزاياه الحسية و المعنوية دون توقف، و كأنما كان ذكر هذا المسند إليه في صدر كل بيت فاصلا يخمد إحساسها المتوقد و يرهق تدفق النبع المنساب".^(٤)

^١- الجرجاني: الدلائل: ١٨٢.

^٢- شفيع السيد: البحث البلاغي عند الرب: ٢٠٥.

^٣- الرهل: المسترخي، البادل: جمع بأدلة هي اللحم بين المنكب و العنق.

^٤- شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٢٠٦.

إن الوقوف عند الحذف لاستشراف الدلالة الموجودة فيه أمر صعب المنال فهي تحتاج إلى روية و تعمق و تأمل و محادثة نفس، و يشير بعض الباحثين في هذا الصدد إلى مطلع قصيدة الهلال لأمير الشعراء أحمد شوقي:^(١)

سنون تعاد و دهر بعيد لعمرك ما في الليالي جديد

فما أكثر ما يمر القراء على هذا البيت و لعلمهم لا يجدون فيه إلى تعبيراً عن تكرر دورة الزمن تكراراً دلت عليه الجملة الأولى "سنون تعاد" لكن هناك من الباحثين من يتعمق في البيت أكثر فيقف على كلمة "سنون" على أساس أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هي"، فحذف المبتدأ هنا يضعنا مباشرة دون تمهيد في قلب الموضوع باستبعاد كل ما ليس ضرورياً، و فضلاً عما يتجه من الإيجاز، و التركيز يضيف على الكلام صفة مباشرة و الدرامية بل إن فيه إحياء آخر و هو من بعيد بملل الشاعر، مما يضبط همته و لا يجعله يكلف نفسه عناء كتابة جملة ذات مبتدأ و خبر".^(٢)

و قد أفاد مبحث الحذف و الإضمار في التعبير بأشكال مختلفة عن المعاني والأغراض المختلفة، و لكنها تبقى مختفية إلى أن يأتي القارئ ليكشفها بعمق النظر والتأمل في التراكيب و الأساليب.

و نختتم هذا الجزء بما قاله الرمانى: "و إنما صار الحذف في هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، و لو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"^(٣) ، إن لظاهرة الحذف وقع في نفس القارئ و تنبها على نباهته لا نجده في الذكر و إن الإتيان بالحذف لم يكن من وجه التلقائية و المصادفة أو كيفما اتفق و إنما وصفت هذا الوضع و كانت على هذه الصيغ لأغراض بلاغية.

^{١-} المرجع نفسه: ٢٠٦.

^{٢-} المرجع نفسه: ٢٠٦.

^{٣-} المرجع نفسه: ١٨.

المبحث الثالث: حذف المفعول به

عرفنا في المبحث السابق حذف عنصر أساسي من عناصر الجملة الاسمية، و تحدثنا عن السياقات التي يرد فيها و الأغراض البلاغية التي يؤديها في الكلام، وسنتطرق في هذا المبحث إلى حذف عنصر من عناصر الجملة الفعلية و هو المفعول به، و الذي لا يقل شأنًا عن العنصر الأول، لما يحمله من أسرار نفسية و أغراض بلاغية عجيبة، فهو يحذف حسب أغراض المتكلمين و مقاصدهم و هي مختلفة يقول عبد القاهر: "فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية"^(١)، في بداية هذا الباب أشاد الإمام بأهمية حذف المفعول به إذ قال: "فإن الحاجة إليه أمس، و هو بما نحن بصدده أخص، و اللطائف كأنها فيه أكثر، و ما يظهر بسببه من الحسن و الرونق أعجب و أظهر"^(٢)، كذلك يرى أن "حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه، حاله مع الفاعل، فعندما يذكر المتكلم الفاعل مع فعله دون مفعول كان غرضه إثبات معنى الفعل للفاعل، أما إذا ذكر المتكلم الفعل والفاعل و المفعول كان غرضه الالتباس الواقع من الفاعل و المفعول، فيؤتى بالفاعل ليرفع التباس الضرب من جهة وقوعه عليه، أما المفعول فيرفع التباس الضرب من جهة وقوعه عليه"^(٣)، و ذهب الخطيب القزويني إلى ما ذهب إليه عبد القاهر في هذه المسألة يقول: "إنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط، كذلك إذا عديته إلى مفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط، و قد اجتمع الفاعل و المفعول به في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما"^(٤)،

و قبل التطرق إلى السياقات و المواضع المشهورة في حذف المفعول به من الكلام و استنباط أهم الأغراض التي يؤديها حذفه ، نقف عند ملحوظة مهمة تتمثل في أن حذف المفعول به مطرد في كلام العرب و مشهور في القرآن الكريم، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على كثرة فوائده و دواعيه و مزاياه العديدة، يقول صاحب

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٤.

^٢ - المصدر نفسه: ١٨٤.

^٣ - المصدر نفسه: ١٨٤.

^٤ - القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة: ٦١.

الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: "و حذفه مهيع من كلام العرب، طافحة به اللغة و القرآن و ليس يحصى كثرة"^(١).

فالأساس الذي انطلق منه عبد القاهر في دراسته لحذف المفعول هو نفسه المطبق في حذف المبتدأ، إذ يراعى في حذفهما غرض المتكلم و مقاصده دون الإخلال بالمعنى و الإفادة بل حذفهما يأتي لزيادة الفائدة مع مراعاة أسس نظرية النظم المتمثلة في توخي معاني النحو و أصوله و قواعده.

إن حذف المفعول به يحمل عدة أغراض و هي مختلفة بين المتكلمين إذ يقول عبد القاهر "فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة و مرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي في أنك لا ترى له مفعولا و لا لفظا و لا تقدير ا"^(٢).

فنظرة عبد القاهر للمفعول به تختلف عن نظرة النحاة الذين يرون أن الفاعل عمدة و المفعول به فضلة و هما مختلفان، أما لدى عبد القاهر فالأمر يختلف فهما يذكران أو يحذفان حسب غرض المتكلم و المعاني المراد التعبير عنها، لا يتعامل معهما على أن الأول عمدة و الثاني فضلة.

المبحث الرابع: أقسام حذف المفعول به حسب غرض المتكلم

لقد ورد في "دلائل الإعجاز" عدة أقسام لحذف المفعول به حسب غرض المتكلم و يمكننا أن نقسمها إلى:

أ- **حذف غير المقصود:** إن مثل هذا الحذف ورد كثيرا في القرآن الكريم و في مدونة العرب، و لقد أطلق عليه البلاغيون الذين درسوا إنجازات عبد القاهر في هذا الباب "بحذف المفعول لإثبات المعاني للفاعلين"^(٣)، فالشاهد الذي أتى به عبد القاهر هو قوله: "فلان يحل و يعقد، و يأمر و ينهى، و يضر و ينفع"^(٤)، فالأفعال الواردة هنا

^١ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز: ٢٨٢.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٤.

^٣ - زهران البدرائي: عالم اللغة عبد القاهر: و مفتن العربية و نحوها: ٢٠٩.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٤.

متعدية لمفاعيل إلا أن هذه المفاعيل حذفت عن غير قصد، فالمعنى يوجب حذفها ليتحقق، و عند ذكرها يتغير المعنى، و المقصود من قول المتكلم في الشاهد من فلان حل وعقد، و أن منه أمر و نهي، و منه ضر و نفع، يقول الجرجاني في هذا الشأن: "فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً: في أنك لا ترى مفعولاً، لا لفظاً و لا تقديرًا"^(١)، فالمعنى في جميع الأمثلة ينحصر في إثبات المعنى في نفسه، و إقرارها للفاعل لا غير و هذا الشكل من الحذف ورد عند علماء البلاغة في غرض سموه اسم الاقتصار و هو أن يكون الفعل مقتصراً على فاعله فقط، و يضم مفعوله، و قد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"^(٢) ، فالمعنى في هذه الآية: هل يستوي من لهم علم ومن

لا علم لهم، طبعاً أنهم لا يستويون، فالشاهد هنا "يعلمون" فعل متعدي لكن في هذا السياق كالفعل اللازم فمعنى الآية لا يقصد علم دون علم، و قد أتى عبد القاهر بشواهد من القرآن الكريم لحذف المفعول به غير المقصود، مثل قوله تعالى: "وَأَنَّهُ

هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"^(٣) و قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى

وَأَقْنَى"^(٤) . فالمعنى: هو الذي منه: الإحياء و الإماتة، و الإغناء و الإقناء، و هكذا

كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء، و "أن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك لأن تعديته تنقض الغرض و تغير المعنى كقوله: "هو يعطي الدنانير"، فيخرج المعنى من أن منه إعطاء إلى أن عطائه مخصوص بشيء دون غيره، و هي الدنانير، أو أن "الدنانير" تدخل في عطائه، فالمتمتعن في الشواهد و الآيات السابقة يخلص إلى فكرة مهمة أن معنى المتكلم و قصده هو المتحكم في إضمار أو إظهار

^١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٤.

^٢ - الزمر: الآية ٩.

^٣ - النجم: الآيتان ٤٣، ٤٤.

^٤ - النجم: ٤٨، أقنئ: أقرر.

المفعول . و قد أقر عبد القاهر في تحليله لهذا الإضمار الذي اشتمل على المفعول به فكرة مفادها "أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور كان على وجهين:

- ١- أن يكون امتناع تركه على ظاهره يرجع إلى غرض المتكلم.
- ٢- أن يكون امتناع تركه على ظاهره يرجع إلى الكلام نفسه، لا من حيث المتكلم، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة كالمبتدأ نحو قوله تعالى: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"^(١) ، ففي هذه الآية الكريمة، هناك لفظة تحتل وجهين من وجوه الإعراب وهي: منبر: الوجه الأول أن تكون خبرا و هذا مراعاة لغرض المتكلم"^(٢) و إذا تأملنا قليلا الوجه الثاني لا يبتعد عن الوجه الأول، فمن خلال المثال السابق احتمل لفظ "صبر" إعرابان و الإعراب الأرجح يعود إلى غرض المتكلم، و من أمثلة القرآن الكريم على هذا النوع من الحذف قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُحْيِي

وَيُمِيتُ"^(٣) ، فالفعلان "يحيي" و "يميت" متعديان إلى مفعول لكن لم يذكر أن

لتوفير العناية للفاعل، فالغرض هو إقرار الإحياء و الإمامة لله سبحانه و تعالى و لو ذكر المفعول به لانتفى ذلك الغرض ، فشأن هذه الآية مثل شأن الآية: "وَأَنَّهُ هُوَ

أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"^(٤) ، ففي حذف المفعول في هذه الآية فوائد

عظيمة أهمها أنه هو منه القوة و القدرة على الإضحاك و الإبكاء و منه الإحياء والإماتة فالمعنى يدور حول إثبات الإضحاك و الإبكاء للفعل و فاعله أي من الله وحده لا من غيره، و كذلك حذف المفاعيل يوفر العناية للفعل و فاعله، فلغرض أشمل و أعظم هو بيان قدرته و إظهار هيمنته على العباد، و هنالك معنى آخر وخفي

^١- يوسف: الآية ١٨.

^٢- مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٩٠.

^٣- غافر: ٦٨.

^٤- النجم: ٤٣، ٤٤.

في حذف المفعول في قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى" ^(١) بمعنى أن الإغناء

والإقناء يشمل الناس جميعا مؤمنهم و كافرهم فالحذف يفيد هنا الشمول والتعميم في هذا السياق.

ب- حذف مقصود: و هذا النمط من الحذف يختلف عن النمط الأول حيث يعتمد المتكلم إلى حذف مفعول به لقصد و غرض، "فالمحذوف يكون فيه لفظا لا معنى على غرار النوع الأول الذي يكون فيه المحذوف لفظا و معنى". ^(٢)

وهذا النمط ينقسم بدوره إلى قسمين: جلي و خفي ^(٣)

١- الحذف الجلي: و هو الذي عرفه عبد القاهر بأنه: "ذلك النوع الذي لا صنعة فيه" ^(٤)، ^(٤) و هذا الشكل من الحذف كثير و متداول عند الناس فهو مشهور في أساليبهم و لشهرته أصبح كالمثل السائر، و قد مثل عبد القاهر بقوله: "مثل قولهم: أصغيت إليه، و هم يريدون "أذني" وأغضيت عليه و المعنى "جفني" ^(٥) ، و أما غرض المتكلم من وراء هذا الحذف يكمن في طلب الاستخفاف في الكلام و الإيجاز، و إنما دل على المحذوف دليل الحال" ^(٦) يقول عبد القاهر: "أن تذكر الفعل و في نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجري ذكر أو دليل حال". ^(٧)

فنظرة عبد القاهر لهذا النمط من الحذف في طلب الخفة و الإيجاز تشاطر نظرة البلاغيين الذين يرون "أن العرب تحذف من كلامها ما هو مشهور و معروف عقلا أو حالا طلبا للخفة و تجنباً لعبء الكلام و ثقله" ^(٨) ، فالتكلم هنا حذف ما دل

^{١-} النجم: ٤٨.

^{٢-} عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية: ١٧٣.

^{٣-} الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٥.

^{٤-} المصدر نفسه: ١٨٥.

^{٥-} المصدر نفسه: ١٨٥.

^{٦-} مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٩١.

^{٧-} الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٨٥.

^{٨-} مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ٢٩١.

عليه دليل، فالبلಾಗಿون رأوه من وجهة الغرض الذي يؤديه هذا الحذف في حين نجد أن عبد القاهر على الرغم من موافقته فيما ذهبوا إليه إلا أنه تميز عنهم بميزة أخرى، وهي أنه أدرج له قسماً خاصاً به و نظر إليه نظرة أخرى تتمثل في أنه حذف جلي واضح من خلال التركيب و المعنى، و لا يتكلف السامع في معرفة هذا المحذوف، ويمكنه أن يقدره بكل سهولة و دون عناء.

٢- **حذف خفي:** و مفهومه متمثل في ذلك الحذف الذي تدخله الصنعة فيتنوع^(١)، فهذا النمط يأتي على أشكال عدة و صور مختلفة، فمكمن الصنعة الجمالية في إخفائه و عدم ظهوره في التركيب، و هذا الشكل من الحذف يحمل فوائد عديدة و مزايا جمة، و هو يفتح الأفق للمتكلم في الإبداع "و تظهر لنا جدارة المتكلمين و براعتهم في الإتيان بجيد الكلام و اختياره"^(٢) ، و يرى عبد القاهر أن هذا اللون من الحذف يظهر منهم من يبدع و منهم من يحسن و منهم من يأتي بالنادر، فمن المزايا التي تتجلى في حذف المفعول أن المتكلم يعتمد إلى إخفائه و إبعاده عن ذهن المتكلم، و مثاله قول البحرى:^(٣)

شجو حساده و غيظ عداه أن يرى مبصر و يسمع واع

فالمعنى: أن يرى مبصر محاسنه و يسمع واع أخباره و أوصافه"^(٤) ، فغرض الشاعر هو أن يذكر محاسن المعتز و فضائله و يكفي أن يقع عليه بصر، و يعيها سمع، حتى يعلم الناس أنه المستحق للخلافة.

فالمعنى المستفاد من هذا الحذف للمفعول به للبيت أن الشاعر أراد إبلاغ السامعين أن أعداء الممدوح كانوا لا يتمنون أن يكون هناك واع و مبصر ليشاهد محاسن الخليفة و مناقبه الفضيلة، كما يمكننا أن نستنتج مزية أخرى، تتمثل في شيوع و شهرة المحذوف إذ أنها اختصاص له حصراً، أي أن هذه المناقب و المحاسن تقتصر على الخليفة دون سواه في حين نجد نفي و تقنيد من قبل المتكلم للمحاسن لدى أعدائه إذا فهو حذف غرضه إثبات المعنى لشيء من جهة و نفيه في شيء آخر من

^١ - عبد القاهر: الدلائل: ١٨٥.

^٢ - عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من وجهة بلاغية عند عبد القاهر: ١٢٩.

^٣ - عبد القاهر: الدلائل: ١٨٥.

^٤ - عبد القاهر: الدلائل: ١٨٥.

جهة أخرى يحدث هذا في آن واحد، و ذلك أن مقياس عبد القاهر أنه "ما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه و حذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا و أن تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، و ترى إضماره في النفس أولى و أنس من النطق به".^(١)

إخفاء مفعول مقصود: إن أشكال حذف المفعول به و أنماطه المتعددة تبين لنا مدى تعدد أغراض المتكلمين و أهدافهم الكثيرة، و من بين هذه الأنماط هو حذف مفعول به معروف عند المتكلم و السامع معا و تعتمد المتكلم حذف المفعول به، و لكنه حذف لبيان الحال عليه، إذ عرفه عبد القاهر بقوله: "و هو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود، قصده قد علم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواء بدليل الحال، أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطرحه و تتناساه"^(٢)، فهذا اللون من الحذف يحقق أغراضا متميزة على التي سبقت و يتمثل أهم غرض في "توفير العناية للفاعل وإثبات الفعل له"^(٣)، و قد أورد عبد القاهر شاهدا ممثلا لهذا السياق من الحذف قول الشاعر عمرو بن معدي كرب:^(٤)

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت و لكن الرماح أجرت

فالأصل أن "أجرت" فعل متعد، و معلوم أنه لو عداه لما عداه إلى ضمير المتكلم نحو: و لكن الرماح أجرتني، و لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه كأن يقول: و لكن الرماح أجرت غيري" فالغرض يلزمك أن لا تخرج المفعول إلى لفظك".^(٥)

فكان مدار الشاعر يدور حول إثبات الإجراء للرماح، و حبس ألسن عند النطق، و إذا ذكر المتكلم المفعول به و عاد إلى حاله الأصلي لذهب الغرض والمعنى المراد إيصاله للسامع، و وقع وهم و لبس لدى السامع.

كما استخرج عبد القاهر مزية أخرى من الشاهد السابق في حذف المفعول لفعل "أجرت" و هي أن الفعل بهذا الشكل دون مفعوله يفيد العموم فمعنى إجراء

^١- المصدر نفسه: ١٨٣.

^٢- المصدر نفسه: ١٨٦.

^٤- شاعر إسلامي و هو الذي حمل يوم القادسية على مزربان: الدلائل: ٣٣٨.

^٥- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٨٦/١٨٧.

الرماح لم يقتصر على شاعر تلك القبيلة فقط، بل هذا الإجراء يفيد حبس لسان كل شاعر قوم عندما تنشب الحروب و المعارك، و عندما يذكر المفعول به و يتعدى له يتغير المعنى، و يقع الإبهام و اللبس لدى السامع.

و من السياقات التي حذف فيها المفعول به قول الشاعر طفيل الغنوي^(١)

لبني جعفر بن كلاب:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا و لو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت
هم أنزلونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت و أظلت
هم خلطونا بالنفوس و ألجأوا إلى حجرات أدفأت و أظلت

فيها حذف مفعول مقصود قصده في أربعة مواضع قوله "لملت"، و ألجأوا، و أدفأت و أظلت، "لأن" الأصل: لملتنا و ألجأونا إلى حجرات أدفأتنا و أظلتنا، إلا أن الحال على ما ذكرت لك من أنه في حد المتناسى، حتى كأنه لا قصد إلى مفعول، و كأن الفعل قد أبهم أمره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه، كما يكون، إذا قلت: "قد مل فلان"، تريد أن تقول: دخله الملل في غير أن تخص شيئا، بل لا تزيد على أن تجعل الملل من صفته".^(٢)

أي أن الأفعال هنا و إن كانت متعدية مثل غير متعدية لا حاجة لها في هذا الموضع إلى مفاعيل، فالتقدير في قول الشاعر:

هم أنزلونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت بها دفئ و ظل

و هنا إضافة أخرى لمعاني لملت، و أجرت لدى عبد القاهر إذ يقول: "و اعلم أن لك في قوله: "أجرت و لملت" فائدة أخرى فضلا عما ذكرنا كتوفير العناية على إثبات الفعل، و هي أن من حكم مثله في كل أم أن تمل و تسأم، و أن المشقة قد بلغت فيه إلى حد يعلم أن الأم تمل ابنها مع ما في طباع الأمهات من الصبر على المكاره في مصالح الأولاد و هي أن قال "أمنا" فإن المعنى أن ذلك حكم كل أم مع أولادها، و لو

^١ - هو طفيل بن عوف بن كعب الغنوي شاعر جاهلي من الفحول المعدودين و يكنى أبا قران يقال أنه من أقدم شعراء قيس عيلان،

و هو أوصف العرب للخيال. الأصفهاني: الأغاني: ١٥/ ٢٨٠

^٢ - الجرجاني: الدلائل: ١٨٨

قال: لملتنا لم تفد العموم و أنه تمل كل أم من كل ابن و كذلك قوله إلى حجرات أدفأت و أظلت" لأن المعنى أنها حجرات من شأن مثلها أن تدفئ و تظل أي هي بالصفة التي إذا كان البيت عليها أدفأ و أظل و لا يجيء هذا المعنى مع إظهار المفعول".^(١)

و مثل هذا السياق قولك: ما لك تمنع أخاك؟ كنت منكرا المنع من حيث هو منع أخ لا من حيث هو منع أما قولك: ما لك تمنع؟ كنت منكرا من حيث هو منع مطلق دون مخصوص.

و لم يكتف عبد القاهر بالشاهد السابق لتوضيح فكرته المتمثلة أساسا في أن المتكلم يحذف المفعول و غرضه إثبات المعاني للفاعل و إقرارها، و توفير العناية وتحقيقها للفعل، إذ يقول: "فاعرف هذه النكتة، فإنك تجدها في كثير من هذا الفن، مضمومة إلى المعنى الآخر الذي هو توفير العناية على إثبات الفعل و الدلالة على أن القصد من ذكر الفعل أن تثبته لفاعله، لا أن تعلم إلتباسه بمفعوله"^(٢)، "٢)، فمثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ

يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ" ^(٣)، «فهناك مواضع

للحذف و هي حذف مفاعيل و تقديرها: وجد عليها أمة من الناس يسقون أغنامهم" أو "مواشيهم" وامرأتين تذودان "غنمهما" و قالتا لا نسقي "غنمنا"، فسقى لهما "غنمهما"، فالغرض من حذف هذه المفاعيل يكمن في إعلام السامع أنه كان من الناس سقي ومن المرأتين "ذود"، و أنهما قالتا: لا يكون منا سقي، فأما ما كان السقي؟ أغنما؟

^١- المصدر نفسه: ١٨٩. الرازي: نهاية الإيجاز: ١٨٣.

^٢- عبد القاهر: الدلائل: ١٨٩.

^٣- القصص: الآية: ٢٤/٢٣.

أم إبلا؟ أم غير ذلك، فخارج عن الغرض و موهم خلافه، و ذلك أنه لو قيل: "وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما جاز أن يكون لم ينكرا الذود من حيث هو ذود، بل

من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم يذكر الذود».^(١)

و يؤكد الزمخشري هذه الحقيقة إذ ذهب بقوله: "فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله "يسقون" و "تذودان"؟ قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذیاد، و هم على السقي و لم يرحمهما لأن مذودهم غنمهم و مسقيهم إبلا مثلاً، و كذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي، فإن قلت كيف طابق جوابهما سؤاله؟ قلت: سألهما عن سبب الذود، فقالتا: السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال و مزاحمتهم، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا، و ما لنا رجل يقوم بذلك، و أبونا شيخ قد أضعفه الكبر، فلا يصلح للقيام به".^(٢)

و نتيجة لما سبق فإنه إذا كان مدار المعنى و غرضه هو الفعل و إثباته لنفسه لا لغيره "و جب على المتكلم إسقاط مفعول به لينصرف المعنى إلى الأول و هو الفعل، أما معرفة المفعول به و تقديره فهو خارج عن نطاق المتكلم و اهتمامه و غرضه و يمكن للسامع أن يقدر المفعول به حسب السياق أو مقام الحال".^(٣)

فالأغراض الناجمة عن هذا النوع من الحذف كثيرة و متنوعة فمنها إثبات حال الفاعل دون بيان حال المفعول به.

و من بديع الحذف قول البحتري: "(٤)، (٤)"

إذا بعدت أبلت و إذا قربت شفت فهجرانها يبلي و لقيانها يشفي
فالشاعر يقصد إذا بعدت عني أبلتني و إن قربت مني شفتني، فصاحب البيت حذف المفعول لغرض في نفسه بمعنى كأنه يسأل: أتدري ما بعادها؟ هو الداء المضني و ما قربها؟ هو الشفاء و البرء من كل داء.^(٥)

^١- عبد القاهر: الدلائل: ١٩٠.

^٢- الزمخشري: تفسير الكشاف: ١٠٩/٣.

^٣- عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية: ١٣١.

^٤- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٠.

^٥- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٠.

و هناك مزية أخرى أن بعادها يبلي كل إنسان و قربها يشفي كل إنسان مهما يكن هذا الإنسان من جانب إحساسه و قلبه، و هذا المعنى اللطيف تحقق بحذف المفعول به، و هذا دليل على أنها تسحر عقل كل من يراها، و تأخذ قلب كل من يتعلق بها، ربما بما بلغته من حسن و جمال روح و خلق، و بعد هذا النموذج يقر عبد القاهر الجرجاني حقيقة مهمة مفادها أن نتائج هذا النوع من الحذف لا تنتهي إذ يقول: "و ليس لنتائج هذا الحذف، أعني حذف المفعول به نهاية، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة و إلى لطائف لا تحصى".^(١)

إن أنماط حذف المفعول كثيرة من حيث أهداف المتكلم و أغراضه البلاغية فمن بين الأغراض الاختصار و تجنب العبث كقوله تعالى: "أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا"^(٢)، أي بعثه الله.^(٣)

و من المواضع التي يكثر فيها حذف المفعول حسب ما ورد في "الدلائل".

الإضمار على شريطة التفسير:^(٤) فهذا الوجه من الإضمار و الحذف شائع في كلام العرب إذ أن المتكلم يعمد إلى حذف مفعول به لغرض الاختصار و تجنب التكرار و تجنب الإطناب، و من شأن هذين السببين يفسدان المعنى و يوقعان السامع في إبهام حول غرض المتكلم، و مثل عبد القاهر لهذا الشكل من الحذف بقوله: "أكرمني وأكرمت عبد الله" المعنى المراد: أكرمني عبد الله و أكرمت عبد الله.^(٥)

فالنفس من طبعها تكره الإطالة و الإطناب و الإكثار في اللفظ و تميل إلى الإيجاز و الاختصار و الإتيان بمعان كثيرة في ألفاظ قليلة، و هذا ما عرفه العرب من كلام شعرائهم و خطبائهم الفحول الذين إذا تكلموا أوجزوا فيتفننون و يبدعون في

^١- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٠.

^٢- الفرقان: ٤١.

^٣- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: م ١٥٨/٢-١٥٩.

^٤- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٠.

^٥- المصدر نفسه: ١٩٠.

الإتيان بالنماذج البديعة و الأمثلة العجيبة من الكلام الجيد، و يراعون في ذلك الحذف و لكن شريطة أن تتوفر شروطه و أدلته لكي يكون له معنى و لا يصبح إخلالا بالغرض و لبسا على السامع.

و أشاد به عبد القاهر إذ قال: "فهذا طريق معروف و مذهب ظاهر و شيء لا يعبأ به و يظن أنه ليس فيه أكثر مما تريك الأمثلة المذكورة منه، و فيه إذ أنت طلبت الشيء من معدنه، من دقيق الصنعة، و من جليل الفائدة ما لا تجده إلا في كلام الفحول".^(١)

من مثل ذلك قولنا: "ضربني و ضربت زيدا" أردنا أن نقول "ضربني زيد و ضربت زيد" فحذف الفاعل من الفعل الأول لذكره في الفعل الثاني جاء لغرض تجنب التكرار و الوقوع في اللبس، و كما هو معلوم لدى جمهور البلاغيين أن العرب تميل إلى الاختصار و الإيجاز.

و من المواضع التي تبرز لنا براعة المتكلم و حسن اختياره للأساليب المناسبة في كلامه فيما يخص بشأن الحذف، هناك نمط آخر لا يقل شأنًا عن سابقه و هو مطرد في القرآن الكريم و في مدونة العرب و هو:

حذف مفعول المشيئة: لقد أدرجه البلاغيون ضمن حذف المفعول به، و مفعول المشيئة به عدة سياقات يأتي فيها منها: "مجيئه بعد "لو" و بعد حرف الجزاء"،^(٢) و قد مثل عبد القاهر لهذا النمط لمفعول المشيئة بقول البحتري^(٣)

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما و لم تهدم مآثر خالد
و التقدير هو: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، فحذفت لم تفسدها لدلالة الحال عليها في الجزء الثاني من البيت.^(٤)

^١- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩١

^٢- مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب: ١٢٨.

^٣- ديوان البحتري: ٤٠١/٢

^٤- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩١.

فالأمر الذي لا شك فيه أن هناك عدة سياقات تحمل أغراضا بلاغية تقتضيها البلاغة التي تعنى بالإتيان بمعان و أغراض في سياقات مناسبة لها و بأساليب تعبر بدقة عنها، فالأصل في مفعول المشيئة أن يذكر، ولكنه إذا ذكر أصبح الكلام لا يحمل جمالا و لا رونقا و لا حسنا، فذكر مفعول المشيئة يؤدي بالكلام إلى أسلوب ركيك و ثقل لدى نفسية السامع.

فالبلاغة في حقيقتها تستدعي الخفة و الإيجاز و الجزالة و توصل المعنى للسامع في ألطف صورة.

و بما أن الأساس الذي بني به القاهر نظرتة للحذف و المتمثلة في مراعاة غرض المتكلم لا غير، فإن مفعول المشيئة إذا كان أمرا عجبيا وجب على المتكلم إظهاره لا إضماره، فالمعنى هو الذي يحدد مدار الحذف و الذكر، بل هناك معايير ينبغي أن يحترمها المتكلم في استخدامه للحذف و من أهمها مراعاة غرضه المراد إبلاغه للسامع و إيصاله إليه، يقول عبد القاهر "إذا استقرت وجدت الأمر كذلك أبدا، متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر و لا يضم".^(١)

و من هذا النوع حذف مفعول المشيئة الذي يأتي بعد "لو" و بعد حروف الجزاء موقوفة غير معداة إلى شيء كثير شائع كقوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

عَلَى الْهَدَىٰ"^(٢) و قوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ"^(٣)

و التقدير: لو شاء أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، و لو شاء أن يهديكم أجمعين لهداكم، إلا أن البلاغة في أن يجاء به كذلك محذوفا، فالحذف أفضل من الذكر لأن في الأخير تكرار و ينجم عن التكرار السأم و الملل في النفس، و لا تستحسنه الأذن إلى في مواضعه المناسبة، إذ مثل لذلك بقول الشاعر:^(٤)

و لو شئت أن أبكي دما لبكيتَه عليه و لكن ساحة الصبر أوسع

^١- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٢.

^٢- الأنعام: ٣٥.

^٣- النحل: ١٠٩.

^٤- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩١.

فالشاعر ذكر مفعول المشيئة و هو "دما" فهو أمر غريب غير عادي، فضرورة المعنى و غرض المتكلم تقتضيان ذكر المفعول و عدم حذفه.

و على هذا يمكن للباحث أن يستنتج أن الحذف ليس بالضرورة ينافي الذكر بل هما متكاملان و غير متناقضين، وهدف المتكلم من الإتيان بهما و استعمالهما في موضع ما يكمن في مراعاة المعنى و شروطه.

و لم تكن فكرة وجوب ذكر مفعول المشيئة إذا كان أمرا عجبيا بعيدة عن أغراض البلاغيين الآخرين، بل أقروها، واعتبروها أمرا واجبا على المتكلم لأن البلاغة و أوجهها تستدعي ذلك، و لذكرها فوائد جمّة كما هي موجودة في حذفها.^(١)

لكن إذا كان مفعول المشيئة أمرا عظيما و عجبيا فالأولى به الذكر أما إذا كان مفعول المشيئة أمرا عاديا، فالحذف أولى به و أنس له و عدم نطقه أجدر من نطقه كقول الشاعر:^(٢)

لو شئت كنت ككرز في عبادته أو كابن طارق حول البيت و الحرم
و التقدير: لو شئت كنت ككرز في عبادته لكنك، لكن التكرار تمجده النفس كما قال
عبد القاهر و تكرهه.

و مثل ذلك في التنزيل كثير بعد الحروف المجازاة كقوله تعالى: "فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ

يَخْتِمَ عَلَى قَلْبِكَ"^(٣) ، فالمحذوف معلوم بدلالة الفعل الأول، فتقدير الآية الكريمة

أن يشأ الله يختم على قلبك يختم، و لكن هذا التقدير معلوم و واضح ما يزيد الكلام إلا تطويلا، و ابتدالا، فالمحذوف المعلوم في حكم المنطوق، لكن المفعول إذا كان أمرا عجبيا فمن الأحسن و الأجدر ذكره و عدم حذفه و هذا حسب السياق، فالحذف

^١ الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ١٧١/٣-١٧٢.

^٢ هو عبد الله بن شبرمة القاضي الفقيه الحارثي كرز بن وبرة الجرجاني العابد و كان يختم القرآن الكريم كل يوم و ليلة ثلاث ختمات و كان محمد بن طارق يطوف في كل يوم و ليلة سبعين أسبوعا.

^٣ الشورى: ٢٤.

والذكر متكاملان في بناء المعنى و سياقاته المختلفة و هذا حسب غرض المتكلم فمن ذلك قول الجوهري: (١)

فلم يبق الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكي بكيث تفكرا

فغرضه هو قد أفناه النحول، فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول و عصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده، و يخرج بدل الدمع التفكير، فالبكاء الذي أراد المشيئة عليه، مطلق مبهم غير معدى إلى التفكير البتة، و البكاء الثاني مقيد معدى إلى التفكير، و إذا كان الأمر كذلك صار الثاني كأنه شيء غير الأول". (٢)

و ثمة سياقات نادرة طيبة فيها حذف المفعول به لأغراض المتكلم قول البحتري: (٣)

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد و المجد و المكارم مثلاً

المعنى قد طلبنا لك "مثلاً" ثم حذف، لأن ذكره في الثاني يدل عليه، ثم إن في المجيء به كذلك من الحسن والمزية و الروعة ما لا يخفى و لو أنه قال: "طلبنا لك في السؤدد و المجد و المكارم مثلاً فلم نجده و هذا السياق في المدح و هذا المدح تم بنفي المثل، و هذه قمة شامخة من نفي الوجود على صريح لفظ "المثل" و هذا من أسمى صور المدح و الثناء و يتم ذلك بنفي الوجود.

و قال صاحب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: "إن الكناية لا تبلغ مبلغ الصريح أبداً و عليه جاء قوله تعالى: "وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ" (٤)، و قوله

تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ" (٥)، و يسميه الرازي ترك الكناية إلى

التصريح" (٦) فلو ترك الإظهار إلى الإضمار ففيل: و بالحق أنزلناه، و به نزل، و قل هو الله أحد، و هو الصمد، لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن". (٧)

١- الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٤، الجوهري: هو أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري الجرجاني عاش في القرن ٤ للهجرة .

٢- المصدر نفسه: ١٩٥.

٣- المصدر نفسه: ١٩٥.

٤- الاسراء : الآية ١٠٥ .

٥- الاخلاص : الآية: ٢، ١ .

٦- الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز : ١٨٥ .

٧- المصدر نفسه : ١٨٦ الدلائل : ١٩٧ .

إن الحذف في الكلام له وقع في النفس و تنبه على نباهته لا نجده في الذكر،
ولعل المتمعن في حذف الجواب في قوله تعالى: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى

الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا" ^(١)، فأهم معنى نفسي حققته هذه الآية هو

أن النفس المؤمنة تذهب إلى عدة اتجاهات و مذاهب لتتصور أو تتخيل ما تجده في
الجنة عندما تتفتح أبوابها، و هو أسلوب من أساليب التشويق و الإثارة من المولى
تبارك و تعالى لعباده المؤمنين به.

فهذه السياقات التي أوردها عبد القاهر تتمثل بدقة نظرته إلى الحذف كظاهرة
بلاغية و أسلوبية و تركيبية يلجأ إليها المتكلم، و تقوم على مفهوم أن الكلام لا يتم
على أهمية بعض العناصر و عدم أهمية عناصر أخرى، و إنما هو تركيب و نظم
لل كلمات بعضها من بعض، و هذا التعليق هو الذي يعطي لكل عنصر أهميته في
السياق و هو أمر لا يستطيع كثير من البلاغيين بعده تنميته بشكل مباشر" ^(٢).

فالسباق عند عبد القاهر لا يعتبر أن الكلمة نقطة البدء و إنما العكس هو
الصحيح، فالسياق هو نقطة البدء إذ يقول محمد عبد المطلب: "لا يمكن وجود كيان
للتعبير إلا من خلال السياق، و حينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ
و علاقاتها ثانيا" ^(٣)، فالحذف يجب يفهم في ضوء مجموعة من العلاقات الأخرى و
خاصة العلاقة المقابلة كالذكر، و لا يمكن اعتبار أن سياق الذكر عكس سياق
الحذف، بل إنهما يتواردان في سياق واحد، و قد أورد عبد القاهر بعض سياقات
الذكر ضمن سياقات الحذف، و مثل لذلك بقول الشاعر ذي الرمة: ^(٤)

و لم أمدح لأرضيه بشعري لئima أن يكون أصاب مالا

أعمل "لم أمدح" الذي هو الأول في صريح لفظ "اللئيم" و "أرضى" الذي هو الثاني
في ضميره، و ذلك لأن إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحا و المجيء به مكشوفاً
ظاهرا، و لو أنه قال: "لم أمدح لأرضي بشعري لئima لكان قد أبهم الأمر فيما هو

^١ - الزمر : الآية : ٧٣ .

^٢ - محمد عبد المطلب: البلاغة والاسلوبية: ٣٢١ .

^٣ - المرجع نفسه : ٣٢١ .

^٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٦ .

الأصل و أبانه فيما ليس بالأصل، ففي هذا السياق وجب على الشاعر ذكر المفعول "الضمير الهاء" حسب الجرجاني، إن الشاعر إذا حذف الضمير للفعل "أرضي" أوقعنا في لبس و إبهام و غموض و لم نعلم أي الفعلين أعمل في المفعول "لئىما" فالذكر هنا رفع الإبهام و كشف عن الغموض.

و أتى عبد القاهر بما رده الجاحظ في البيان و التبيين لتوضيح فكرة التكامل بين الحذف و الذكر كسياقات لهما دورهما في أداء المعاني من قبل أصحابه فيقول: "و أنا أكتب لك الفصل حتى يستبين الذي هو المراد قال: "و السنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب، ألا ترى أن قيس بن خازجة بن سنان لما ضرب بسيفه مؤخرة راحلة الحاملين في شأن حمالة داحس و الغبراء^(١) و قال: ما لي فيها أيها العثمان؟^(٢) قالوا: بل ما عندك؟ قال: عندي قرى كل نازل، و رضى كل ساخط، و خطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب أمر فيها بالتواصل و أنهى فيها عن التقاطع، قالوا: فخطب يوما إلى الليل فما أعاد فيها كلمة و لا معنى، فقل لأبي يعقوب: هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع؟ أوليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة؟ أو ما علمت أن الكناية و التعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح و التكتيف،^(٣) انتهى الفصل الذي أردت أن أكتبه فقد يبصر ك هذا أنه لم يكون إيقاع نفي الوجود على صريح لفظ مثل إيقاعه على ضميره".^(٤)

فهذا النص الذي استشهد به عبد القاهر الجرجاني ليدلل على تكامل الأمر بالتواصل و النهي عن التقاطع فالأمر نفسه بالنسبة للذكر و الحذف، فهما سياقان يخدمان المعنى، فغرض المتكلم هو المتحكم في الإتيان بأحد منهما.

و من أهم السياقات التي يرد فيها حذف المفعول به لغرض "تجنب السامع من الوقوع في اللبس لدى غرض المتكلم"^(٥) فهذا الغرض من الحذف يحمل عجائب كثيرة، إذ يعمد المتكلم إلى حذف المفعول به و هدفه هو تأدية معنى يجنب السامع من الوقوع في الإبهام لشيء آخر غير المراد ثم يصرفه إلى المراد، بمعنى آخر هدف

^١- اللذان حملا الحمالة وهي الدية: الحارث بن عوف و هرم بن سنان.

^٢- العثمان: يقال رجل عثمة و عجز عثمة: كبير هرم.

^٣- الجاحظ: البيان و التبيين: تح: درويش جويدي: ٧٩/١

^٤- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ١٩٦

^٥- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية: ٣١٤.

هذا الحذف هو إبعاد ذهن السامع عن توهم أي معنى غير المعنى المراد، و قد استشهد عبد القاهر لهذا الأمر من الحذف بقول البحتري و هو يذكر محاماة الممدوح عليه و صيانتة له و دفع نوائب الزمان عنه.^(١)

و كم زدت عني تحامل حادث و سورة أيام حزن إلى العظم
الأصل: لا محالة: حزن اللحم إلى العظم".

لقد جاء المفعول به في هذا البيت محذوفاً، و هذا لتحقيق غرض مهم من الأغراض النفسية لدى السامع، إذ عندما عمد الشاعر إلى حذف المفعول به "اللحم" فغرضه كان إبعاد السامع كل البعد عن التوهم شيء غير الأمر المراد إيصاله ثم يذهب المتكلم إلى المراد".^(٢)

و لو أن الشاعر أظهر لفظة "اللحم" لتوقع السامع إلى أن يأتي المتكلم إلى قوله "إلى العظم"، و من ثم يتوقع أن الحز كان في بعض اللحم فقط، فالمعنى المراد من قبل صاحبه هو أن الحز كان في اللحم كله و ليس بعضه و لتحقيق هذا الغرض من قبل حذف المفعول به تجنباً للوقوع في اللبس.

و يضيف عبد القاهر قائلاً: "فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم و أسقطه من اللفظ، ليبيرئ السامع من هذا الوهم و يجعله بحيث يقع المعنى منه في أنف الفهم، و يتصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يردده إلا العظم"^(٣)، و خلاصة لما سبق يمكننا أن نستنتج أن منهج عبد القاهر في رصد الظاهرة و دراسته لها كان تطبيقاً متتبعا السياقات المختلفة الواردة فيها حذف المبتدأ أو المفعول به منطلقاً من رؤيته و نظرتة إلى الحذف بأنه وجه من أوجه النظم المعتمد على غرض المتكلم و مقاصده مدلاً على عجائب هذه الظاهرة و لطائفها و أسرارها في العربية، فالإظهار و الإضمار يتوقفان على قصد المتكلم و المعاني المراد إبلاغها وإيصالها للمتلقي أو السامع.

^١ - عبد القاهر الجرجاني: الدلائل: ١٩٨.

^٢ - المصدر نفسه: ١٩٨.

^٣ - المصدر نفسه: ١٩٨.

فمن الأسرار البلاغية المستنتجة من الحذف تكون حسب سياقها، فحذف المبتدأ يأتي لشهرته و كثرة استعماله و أشهر مواضعه القطع و الاستئناف و قد يحذف المبتدأ لكرهية النفس و استهجانها من ذكره، و خاصة في موضع الذم، كما يحذف عند تأتي الإنكار عند الحاجة، و عموما يحذف لأسباب بلاغية و له غرض حسب ما يقتضيه السياق الذي يرد فيه.

أما أقسام حذف المفعول به فهي على النحو التالي:

أ- حذف غير مقصود: و غرضه: اقتصار المعاني للفاعل و إثبات المعنى في نفسه.
ب- حذف مقصود: و ينقسم بدوره إلى: حذف جلي لا صنعة فيه و غرضه الإيجاز وحذف خفي: فيه جودة و إبداع و براعة في الإتيان بجيد الكلام و حسن النظم كما يحذف المفعول لشهرته و شيوعه، و يضمم لإثبات معنى ما لشيء و نفيه في شيء آخر في الحين نفسه، و من مواضع حذف المفعول به:

- ١- حذف مفعول مقصود و غرضه إفادة العموم و نفي التقييد.
- ٢- حذف مفعول المشيئة: و يحذف لمقتضيات بلاغية كالجزالة ما عدا إذا كان المفعول أمرا عظيما، فإنه يجب ذكره.

و أما النوع الآخر من الحذف للمفعول به فهو حذف لتجنب السامع من الوقوع في الإبهام و في اللبس، و لقد رأى الدارسون الذين تعرضوا إلى باب الحذف عند عبد القاهر في مصنفه "الدلائل" "أن عبد القاهر لم يقعد لهذه الملاحظات بقواعد و قوانين محددة، كما فعل البلاغيون فيما بعد و إنما تتبع الاستعمال الأدبي، و حاول تحديد السياقات التي يرد فيها الحذف رابطا تلك الملاحظات و الأحكام بنظريته في النظم".^(١) و مع هذا نقول حسبنا أن عبد القاهر هو الذي لفت الانتباه إلى هذه الظاهرة في تراثنا العربي، و توسع في عرضها و لا يضره أنه لم يقعد لها القواعد، بل يمكن اعتبار أن عبد القاهر أعطى لهذه الظاهرة في العربية بعدا يختلف عن أبعاد البلاغيين الآخرين و يتمثل هذا البعد في إعطاء الحرية للمتلقي في إدراك المعاني

١- محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية : ٣١٣.

البلاغية التي يؤديها الحذف و إلى إعمال فكره و محاورة خلد و التأمل في السياقات التي ورد فيها الإضمار ، لأن الأغراض البلاغية و العجائب النفسية لا حصر لها و الجرجاني أتى ببعضها لأن في بداية حديثه عن الحذف حشد مجموعة من الشواهد الشعرية طالبا من السامع أو المتلقي إعمال في استخراج المعاني و الأسرار النفسية بدون تقنين و لا تفعيد.

و بعد عرض لهذا الأمثلة و السياقات التي ساقها عبد القاهر، نلاحظ أن التراكيب العربية لم تأت مصادفة أو كيفما اتفق، و إنما وضعت هذا الوضع لأغراض تواصلية ابلاغية^(١)، إذ كل وضع من أوضاع التراكيب له معنى ووظيفة يؤديها في الاستعمال، و قد استطاع عبد القاهر أن يسبر أغوار هذه التراكيب ولاسيما الحذف إلى دقائق معانيها بطريقة تجعل القارئ يرغب في اكتشاف أسرار الوجوه و معرفة الفروق بينها، ويخلص عبد القاهر في نهاية مبحث الحذف، بعد أن فصل القول في حذف المبتدأ و المفعول به، و بين أغراضه البلاغية و أسرارها النفسية، و مدى إسهام المخاطب -كطرف رئيسي- في بناء شكل الخطاب إذ يعول في استحضار ما حذف من الكلام على هذا المخاطب ذي العقل الثاقب و النظر الدقيق، و الذوق الفني الجمالي العالي بالقول: " قد بان الآن و اتضح لمن نظر نظر المثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، و الازدياد من الفضل، و من شأنه التوق إلى أن تعرف الأشياء على حقائقها، و يتغلغل إلى دقائقها و يربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، و لا يعدو الذي يقع في أول الخاطر، أن الذي قلت في شأن الحذف، و في تفخيم أمر، و التنويه بذكره و أن مأخذه مأخذ يشبه السحر و يبهر الفكر"^(٢).

إن الحذف يؤدي دورا أساسيا في تشكيل المعاني المرادة من قبل المتكلم و كما ذكرنا سابقا أن التراكيب العربية لم تأت مصادفة أو كيفما اتفق، و إنما وضعت هذا الوضع لأغراض تواصلية إبلاغية بلاغية.

^١ - عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: ١٦٤.

^٢ - الجرجاني: الدلائل: ١٩٨.

الـخـاتـمـة

لقد وصل بحثنا إلى نهايته، و هذا لا يعني أن موضوعنا لا يمكن لأحد أن يبحث فيه مرة أخرى، لأن مهما قيل في أي بحث كان، فإن الباب يبقى مفتوحا للآراء والدراسات، فحلقة البحث متواصلة، و نعتقد من هذا المنطلق أن جهدنا المتواضع سيكون نقطة بداية لجهود أخرى لمن أراد أن يتغلغل في أغوار التراث البلاغي العربي الأصيل و أعماقه، و لاحظنا أن الإمام عبد القاهر الجرجاني لم يكن حلقة مقطوعة الصلة مع ما قبله بل هو حلقة متواصلة من البحث اللغوي و البلاغي فضلا عما أثرى به الثقافة العربية الإسلامية، لذا فهو يعد واحدا من الذين تفخر بهم الحضارة العربية الإسلامية في مجال الدرس اللغوي و البلاغي إذ تقف مؤلفاته شامخة الرأس إلى يومنا هذا أمام الدراسات اللغوية الحديثة و المعاصرة إن لم نقل أنه ملهمها و إلى ما ذهب إليه عبد القاهر اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة كمدرسة اللسان الحديثة التي تزعمها دي سوسير "F. de saussure" و أنتوان مية "A. meillat" و يعد كتاب "دلائل الإعجاز" قمة تلك المؤلفات حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عرفت باسم النظم أو نظرية التعليق التي سبق بها عصره و ما تزال تبهر المعاصرين.

و يمكننا في ضوء ما قدمناه في البحث أن نقدم أهم النقاط العامة و المهمة التي تم التوصل إليها و هي:

- إن الإمام عبد القاهر الجرجاني يعد مفكرا و فيلسوفا لغويا متميزا عن غيره من البلاغيين، و اعترف به الأولون و المتأخرون من أمثال تمام حسان الذي قال فيه: "و لما ظهر الاتجاه البلاغي كان من طلائع كتبه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" للعلامة عبد القاهر الجرجاني الذي اعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل"، و لم يكن واضحا لأصول البلاغة فحسب، بل اهتم أيضا بمباحث كثيرة في النحو و النقد و الشعر.

- أراد عبد القاهر بكتابه "دلائل الإعجاز" أن يرد على من كانوا يرجعون إعجاز القرآن إلى الألفاظ، و رفض أن يكون الإعجاز راجعا إلى المفردات أو حتى معانيها أو جريانها و سهولتها و عذوبتها، و عدم ثقلها على الألسنة، كما رفض أن يكون

الإعجاز راجعا إلى الاستعارات و المجازات و الفواصل أو الإيجاز، و إنما رد إعجاز القرآن الكريم إلى حسن النظم، و مجمل نظريته: أنه لا اعتداد بمعاني الكلمات المفردة إن لم تنتظم في سياق تركيبى، و هو ما يعرف بالنحو، فهو يرى أن الدلالة المعجمية معروفة لدى معظم أهل اللغة، و لكن دلالة اللفظة التي تكتسبها خلال نظمها في سياق تركيبى هي التي يسعى إليها مستخدم اللغة، لاختلاف دلالة اللفظة تبعا للتركيب النحوي الذي تنتظم فيه، و المواضع المختلفة التي تحتلها في السياقات الناتجة عن أصل سياقي واحد، و المقصود بهذا أن النظم هو تعليق الكلم ببعضها البعض مراعاة لأصول النحو و قواعده.

- فنظرية النظم تعد ثورة لغوية بلاغية كبيرة فهي تشمل جميع المعارف اللغوية من نحو و بلاغة و شعر و نقد.

- طبق الإمام عبد القاهر نظريته -النظم- على كثير من الأبواب البلاغية سواء في علم المعاني أو البيان أو البديع التي كانت أبوا متناثرة بين مصنفات البلاغيين قبله.

- إعجاز القرآن الكريم لدى عبد القاهر الجرجاني يكمن في حسن نظمها، فالمعاني تكون في وضع مؤثر في النفس إذا راعى المتكلم حسن نظمها، و ذلك بترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس.

- العلاقة بين علم النحو و علم المعاني وطيدة، و الفصل بينهما خطأ جسيم.

- هناك علماء أفردوا للحذف بابا خاصا في مصنفاتهم و هناك من تناوله عبر مباحث بلاغية أخرى كالإيجاز، و كل واحد نظر إليه، -الحذف- حسب مذهبه و مجال دراسته.

- الحذف باب متسع في العربية من حيث مفهومه و أشكاله و أغراضه و أسبابه ودواعي الإتيان به، و العربية تمتاز بهذه الظاهرة على اعتبار أن العرب تميل إلى الإيجاز و الاختصار، بل هناك من عرف البلاغة على أنها إيجاز.

- أما عبد القاهر فتطرق إلى الحذف و أفرد له بابا خاصا في "دلائله"، وكان منهجه متميزا و مختلفا عن النحاة الذين اهتموا بالحذف بتقدير المحذوفات، بل ربط عبد القاهر الحذف بنظرية النظم و عده وجها من أوجه -النظم-.

- ظهور فلسفة الإمام عبد القاهر في الحذف، إذ ربط الحذف بغرض المتكلم و نفسية المتلقي بمعنى أن المتكلم لا يحذف مصادفة أو تلقائيا بل لأغراض بلاغية و عجائب نفسية و مراعاة لمقتضى الحال "كل مقام مقال".

- أراد عبد القاهر الجرجاني من خلال الحذف أن يبين دور المخاطب (السامع) في بناء و مشاركة المخاطب في العملية التواصلية البلاغية على أساس أن وظيفة اللغة تواصلية بلاغية.

- عبد القاهر الجرجاني لم يضع لنا قوانين جافة و قوانين ثابتة التي لا ينبغي لأحد أن يخرج عنها بل خلق فسحة حرة واسعة للمخاطب أن يذهب إلى أي مذهب أو تأويل للبحث عن المحذوف، فهو يدعو للتأمل و التمعن في السياقات التي ورد فيها الحذف، مراعيًا الجوانب الفنية و الجمالية فيه.

- إن ظاهرة الحذف تحمل فلسفة خاصة في معنى الكلام، و لعل أبرز دليل على ذلك هو اهتمام القدماء بهذه الظاهرة دراسة و استقصاء و استنتاجا فهي ظاهرة مطردة في الكلام تظهر بأشكال مختلفة و متعددة و تأتي لأغراض بلاغية.

- إن أهم شرط في الحذف هو وجود دليل عليه إذ لا حذف دون دليل و هذه الحقيقة اتفق فيها جمهور العلماء و البلاغيين بالإجماع، إذ لا معنى لحذف بدون دليل على المحذوف.

و أخيرا فإنني أرجو من الباحثين في التخصصات اللغوية و الأدبية أن يهتموا بالتراث اللغوي العربي العريق الذي يحمل قيمة علمية كبيرة، و أن لا يشعروا بالرجعية عندما يعالجون مادة تراثية، فالجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" و هو على سبيل المثال لا الحصر، قدم خدمة جليلة للقرآن الكريم و لغته الشريفة لاهتمامه بالعلوم التراثية لذا أرجو أن ينتفع غيرنا بما قدمناه من عمل متواضع و نسأل الله التوفيق و السداد فإنه للدعاء سميع بصير و على الإجابة لتقدير و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر:

- ١- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم:
١- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥).
- ٢- الكامل في التاريخ (دار الكتاب العربي بيروت ط ٤ ١٩٨٣).
- ٢- ابن حجر: الحافظ بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الفتح الباري إشراف محمود بن الجميل (مكتبة الصفاء القاهرة - ط ١ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)
- ٣- الأصفهاني: أبو الفرج: الأغاني: تح: لجنة من الأدباء دار الثقافة بيروت، ط ٥، ١٩٨١.
- ٤- الباقلائي: أبو بكر محمد بن الطيب :
١- إعجاز القرآن، تح، السيد صقر (دار المعارف مصر دون تاريخ).
٢- إعجاز القرآن، تح: عبد المنعم خفاجي (دار الجيل بيروت ١٩٩١ م ١٤١١ هـ).
- ٥- البحتري: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي: ديوانه (دارصادر بيروت لبنان- لا ت).
- ٦- تميم بن أبي بن مقبل: ديوانه (منشورات وزارة الثقافة دمشق سورية د ت).
- ٧- الجاحظ: عمر بن بحر:
١- البيان و التبیین: تح: درويش الجويدي (المكتبة العصرية: صيدا بيروت لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م).
- ٢- الحيوان: تح: يحيى الشامي (دار مكتبة هلال ط ٣ بيروت ١٩٩٧ م).
- ٨- ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص: تح: محمد عي النجار (المكتبة العلمية دار الهلال القاهرة ط ٢ ١٩٥٢ م).

٩- الجوهري: الصحاح: تح: عبد الغفور عطار: (دار العلم للملايين بيروت ط ٢٩٧٩).

١٠- الحريري أبو محمد القاسم: - مقامات الحريري (دار صادر بيروت لبنان ١٤٠٠هـ/٢٠٠٤م).

- مقامات الحريري (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع . بيروت ط ١ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م)

١١- الحلي صفى الدين: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع: نسيب نشاوي (مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

١٢- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: تح: الشيخ بهيج الفزاوي (دار إحياء العلوم، بيروت لبنان ط ١ ١٩٨٨).

١٣- الرازي فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: تح: إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي أبو علي (دار الفكر للنشر و التوزيع عمان الأردن ١٩٨٥ م).

١٤- الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن: النكت في إعجاز القرآن: تح: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام (دار المعارف مصر ١٩٦٨).

١٥- الزركشي: خير الدين: البرهان في علوم القرآن: تح: أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان ١٩٧٢).

١٦- الزمخشري: محمود بن عمر: الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ط ١ ١٩٧٧).

١٧- الزوزني: أبو عبد الله الحسين: شرح المعلقات السبع (دار الأفاق دون ط، الجزائر لا ت).

١٨- سيبويه: أبو بشر عمرو بن قنبر: الكتاب: تح: عبد السلام هارون (دار الجيل بيروت لبنان ط ٤ ١٩٦٦ م).

١٩- السيوطي: جلال الدين بن أبي بكر :

- ١- الإتقان في علوم القرآن: تح: أبو الفضل إبراهيم (المكتبة
العصرية بيروت دون طبعة ١٩٨٨ م).
- ٢- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: شرح محمد جاد المولى
و جماعته (المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٥ م).
- ٢٠- عبد الجبار الهمداني: القاضي أبو الحسن: المغني في أبواب التوحيد و العدل:
تح: الجزء ١٦ (إعجاز القرآن الكريم) أمين الخولي (وزارة الثقافة و الإرشاد
القومي، سلسلة تراثنا سنة ١٩٦٠ م).
- ٢١- عبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد الرحمان بن محمد:
١- أسرار البلاغة: تح: محمد رشيد رضا (دار المعرفة بيروت
لبنان دون ط)
٢- دلائل الإعجاز: تح: رشيد رضا (دار موفم ١٩٩١ م).
٣- دلائل الإعجاز في علم المعاني: تح: ياسين الأيوبي (المكتبة
العصرية صيدا، بيروت ط ٦ ٢٠٠٢ م- ١٤٢٢ هـ).
(وهي المرادة على الإطلاق)
٤- دلائل الإعجاز: تح: محمود شاكر (مطبعة المدني القاهرة
ط ٢ ١٩٢٢ م).
- ٢٢- ابن عقيل : عبد الله بهاء الدين بن عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:
تح: محمد محي الدين عبد الحميد (دار التراث، القاهرة مصر ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م).
- ٢٣- عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، شرح: محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة
التجارية الكبرى القاهرة ١٩٦٠ م).
- ٢٤- الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات الرسالة (بيروت لبنان ط ٢
١٤١٩ هـ- ١٩٦٠ م).
- ٢٥- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب: (دار المعرفة بيروت ١٣٩٨ هـ-
١٩٧٨ م).

- ٢٦- المتنبّي: أحمد بن الحسين: شرح ديوانه: طبعه عبد الرحمان البرقوقي (دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط ١ ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٤ م).
- ٢٧- ابن المعتز عبد الله: البديع: منشورات (دار الحكمة دمشق سوريا دون ط).
- ٢٨- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب (مطبعة الميرية بولاق مصر ط ١ ١٣٠١ هـ).
- ٢٩- ابن هشام: أبو محمد جمال الدين الأنصاري المصري: المغنى اللبيب عن كتاب الأعراب: تح: محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٩٨٨ م).

المراجع:

- ١- إبراهيم الخليل: الأسلوبية و نظرية النص (المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط ١ ١٩٩٧ م).
- ٢- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر القاهرة ١٩٥٩).
- ٣- أحمد مطلوب: عبد القاهر بلاغته و نقده (دار القلم لبنان ط ١ ١٩٧٣ م).
- ٤- انعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة مراجعة أحمد شمس الدين (دار المكتبة العلمية. بيروت لبنان ط ١ ١٩٩٢ م).
- ٥- البدر اوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المتقن في العربية و نحوها (دار المعارف القاهرة مصر ط ٤ ١٩٨٧ م).
- ٦- بسيوني عبد الفتاح فيود: علم المعاني (دار المعالم الثقافية، الأحساء، السعودية، مؤسسة المختار القاهرة مصر دون ط).
- ٧- تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ١٩٧٩ م).
- ٨- داود عبده: دراسات في علم اللغة النفسي (طبع ذات سلاسل. الكويت ط ١، ط ٢ ١٩٨٧ م-١٤٠٧هـ).
- ٩- رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع للهجرة (دار الفجر، القاهرة ط ١ ١٩٩٧ م).
- ١٠- سعد سليمان حمودة: البلاغة العربية (دار المعرفة الجامعية القاهرة مصر ١٩٩٧ م)

- ١١- شامية أحمد: في اللغة (دار البلاغ الجزائر العاصمة ط ١٤٣٣ هـ- ٢٠٠٢ م).
- ١٢- شفيق السيد: البحث البلاغي عند العرب (دار الفكر العربي نصر مصر ط ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م).
- ١٣- شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ (دار المعارف القاهرة مصر ط ١٩٦٥)
- ١٤- طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير (الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٤ م).
- ١٥- طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي (الدار الجامعية الإسكندرية مصر ١٩٩٩ م).
- ١٦- عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية (دار النهضة العربية، بيروت دون ط ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م).
- ١٧- عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (دار المريخ للنشر و التوزيع، دار الجيل للطباعة مصر ١٩٨٠ م).
- ١٨- عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي (دار غريب، القاهرة مصر دون ط ١٩٩٨ م).
- ١٩- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (مكتبة المتنبي و دار إحياء التراث العربي -بيروت- ١٩٥٧ م).
- ٢٠- فضل حسن عباس و سناء فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم (عمان دون ط ١٩٩١ م).
- ٢١- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية (مكتبة لبنان بيروت ط ١٩٩٤ م).
- ٢٢- محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المصري: أثر المتكلمين في تطوير الدرس البلاغي: القاضي عبد الجبار أنموذجا (دار الوفاء - الإسكندرية - مصر ط ٢٠٠٦ م).
- ٢٣- مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز (دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر دون تاريخ دون ط).

٢٤- **ناصر مصطفى:** نظرية المعنى في النقد العربي (دار الأندلس، بيروت ط ١٤٠٢ هـ- ١٩٨١ م).

٢٥- **نور الدين عتر:** القرآن الكريم و الدراسات الأدبية (دمشق ط ١٩٩١ م- ١٩٩٢ م)

الدوريات و الرسائل الجامعية :

١- **مجلة فصول** مج ٣ ع ١/١٩٨٢ م الذاتية و الكلاسيكية في شعر شوقي دراسة الدكتور محمد مصطفى بدوي.

٢- **سليمان بن علي:** صلة النحو بعلم المعاني لدى الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال مصطلح (الوجوه و الفروق) في دلائل الإعجاز، رسالة ماجستير جامعة العقيد الحاج لخطر بباتنة ٢٠٠١ م.

٣- **مسعود عامر:** تميم بن أبي بن مقبل: حياته و شعره رسالة لنيل درجة الماجستير جامعة دمشق سورية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

الآلهة - - - - - ارس العام - - - - -

- ف - ارس ائيا Θ الق-رآنية

- ف - ارس ائيا Θ الـع-رية

- ف - ارس المذاد و المراج - - - - -

- ف - ارس الم-وزا - - - - - Θ

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآيات	السورة
٨٧	٠٤	<< و إياك نستعين >>	الفاتحة
٥٦/٤٤	٠١،٠٢	<< ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين >> << و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك، و بالآخرة هم يوقنون >> << صم بكم عمي >> << و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات << << و أما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا، يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا، و ما يضل به إلا الفاسقين << << و إذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا >> << و إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة << << و لتجدنهم أحرص الناس على حياة >> << و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا >> << و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم >>	البقرة
٩٢	٠٤		
٨٦/٧٥	١٨		
٨٠	٢٥		
٥٦	٢٦		
٩٤	٦٠		
١٠٢	٦٧		
٨٩	١٢٦		
٩٤	١٢٧		
٦٩	٢٦	<< بيدك الخير >>	آل عمران
٨٩	٣٥	<< رب إنني نذرت لك ما في بطني محررا >>	
٨٩	٠١	<< و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام >>	النساء
٧٧	٠٣	<< حرمت عليكم الميتة و الدم >>	المائدة

٧٨	٣٤	<< و لقد جاءك من نبي المرسلين >>	الأنعام
١٢٤	٣٥	<< و لو شاء الله لجمعهم على الهدى >>	
٩٢	٩٤	<< لقد تقطع بينكم >>	
٩٠	٨٠	<< و لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين >>	الأعراف
٨٩	١٥٥	<< و اختار موسى قومه سبعين رجلا >>	
٢٥	٠٧	<< و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين >>	الأنفال
٤٥	١٨	<< إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر >>	التوبة
٣٥	٤٤	<< و قيل يا أرض ابلي ماءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي و قيل بعدا للقوم الظالمين >>	هود
٥٥	٩١	<< و ما أنت علينا بعزيز >>	
٥٥	٩٢	<< أرهطي أعز عليكم من الله >>	
٧٣	٦٩	<< قالوا سلاما >>	
١١٥/٨٨	١٨	<< فصبر جميل >>	يوسف
٨٧	٢٩	<< يوسف أعرض عن هذا >>	
٤٤	٣١	<< ما هذا إلا بشر إن هذا إلا ملك كريم >>	
٨٩	٣٣	<< قال رب السجن أحب إلي مما يدعوني إليه >>	
٩٢	٣٥	<< ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين >>	
٩٥/٦٨	٤٦،٤٥	<< و قال الذي نجا منهما و ادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون، يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات >>	
٨١	٤٦	<< يوسف أيها الصديق >>	
٨٨/٧٤	٨٢	<< و اسأل القرية >>	
٧٧	٨٢	<< و اسأل القرية التي كنا فيها و العير التي أقبلنا فيها >>	
٨٩	٨٥	<< تالله تفتأ تذكر يوسف >>	

٨٧	٠٩	<< عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال >>	الرعد
٥٥	٢٦	<< الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر >>	
٧٣	٣٥	<< أكلها دائم و ظلها >>	
٤٥	٤٠	<< فإنما عليك البلاغ و علينا الحساب >>	
١٢٤	٠٩	<< لو شاء الله لهداكم أجمعين >>	النحل
٧٣	٣٠	<< و قيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا >>	
٦٨	٨١	<< سراييل تقيكم بأسكم >>	
٩٠	٢٤	<< و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا >>	الإسراء
٩٣	٣٣	<< و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل أنه كان منصورا >>	
٢٣	٥٩	<< و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، و أتينا ثمودا الناقة مبصرة، فظلموا بها، و ما نرسل بالآيات إلا تخويفا >>	
٢٧/٢	٨٨	<< قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا >>	
٢٣	١٠١	<< و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات >>	
١٢٦	١٠٥	<< و بالحق أنزلناه و بالحق نزل >>	
٧٣	٦٣	<< و بالوالدين إحسانا >>	
٩١	٤٨	<< و عرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا >>	الكهف
٧٣	٧٩	<< أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أغيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا >>	
٣٩	٠٤	<< و اشتعل الرأس شيبا >>	مريم
٧٨	٣٨	<< أسمع بهم و أبصر >>	

٨٧	٣٧	<< خلق الإنسان من عجل >>	الأنبياء
٤١	٦٢	<< قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم >>	
٨١	٧٣	<< فأوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة >>	
٨٩	٤١	<< الذين إن مكناهم في الأرض >>	الحج
٩٥	٣٦	<< فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا >>	الفرقان
١٢٢	٤١	<< أهذا الذي بعث الله رسولا >>	
٨٦	٢٤،٢٣	<< قال فرعون و ما رب العالمين، قال رب السموات والأرض >>	الشعراء
٩٣	٤٠،٣٩	<< و قيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين >>	
٩٠	١١١	<< قالوا أنؤمن لك و قد اتبعك الأرذلون >>	
٦٩	١٢	<< و أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء >>	النمل
٨٥	٢٨	<< اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ فانظر ماذا يرجعون >>	
٨٥	٢٩	<< قالت ياأيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم >>	
٥٤	٠٩	<< و قالت امرأة فرعون قرّة عين لي و لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا و هم لا يشعرون >>	القصص
١٢٠	٢٤،٢٣	<< و لما ورد جاء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، و وجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خطبكما، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء و أبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل >>	
٢٥	٠١	<< ألم، غلبت الروم >>	الروم
٦٧	٠٥	<< فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين >>	الأحزاب
٥٧	٤٧	<< لا فيها غول >>	الصفافات

ص	<< حتى توارت بالحجاب >>	٣٢	٧٥
الزمر	<< قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون >> << الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله >> << و سيق الذين اتقوا ربهم إلى جنات زمرات حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها >>	٠٩ ٢٣ ٧٣	١١٤ ٥٥ ١٢٦/٨٥
غافر	<< و هو الذي يحيي و يميت >>	٦٨	١١٥
الشورى	<< فإن يشأ الله يختم على قلبك >>	٢٤	١٢٥
محمد	<< فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منا بعد و إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك و لو يشاء الله لانتصر منهم و لكن ليلبوا بعضكم ببعض، و الذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم >> << طاعة و قول معروف >>	٠٤ ٢١	٩١ ١٠٤
الحجرات	<< إنما المؤمنون إخوة >>	١٠	٤٥
النجم	<< و أنه هو أضحك و أبكى، و أنه هو أمات و أحيا >> << و أنه هو أغنى و أقتى >>	٤٤،٤٣ ٤٨	١١٥/١١٤ ١١٥/١١٤
البلد	<< أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما >>	١٤	٧٨
الشمس	<< ناقة الله و سقياها >>	١٣	٨٦/٧٦
الضحى	<< ما ودعك ربك و ما قلى >>	٠٣	٨٧/٣
القارعة	<< و ما أدريك ما هيه نار حامية >>	١٠	٧٠
الإخلاص	<< قل هو الله أحد، الله الصمد >>	٢،١	١٢٦

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البحر	القائل	الأبيات
١٠٦ ١٠٦ ١٠٦	السريع	بكر بن النطاح	الألف اللينة العين تبدي الحب و البغضا و تظهر الإبرام و النقضا درة ما أنصفتني في الهوى و لا رحمت الجسد المنضى غضبي لا و الله يا لأهلها لا أطعم البارد أو ترضى
١٠٤ ١٠٤ ٦٩	الوافر	محمد بن حنبل مجهول	(ء) هم خلوا من الشرف المعلى و من حسب العشيرة حيث شاءوا بناة مكارم و أساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء إن هند المليحة الحسناء وأي من أضمرت لخل وفاء
١٠١/٦٧	البسيط	ذو الرمة	(ب) ديار مية إذ مي تساعفنا و لا يرى مثلهم عجم و لا عرب
١٠٦ ١٠٦	الطويل	عبد الله بن الزبير الدؤلي	سأشكر عمرا أن تراخت منيتي أيادي لم تمنن و إن هي جلت فتى غير محبوب الغنى عن صديقه و لا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
١١٨	الطويل	عمر بن معدي كرب	فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت و لكن الرماح أجرت
١١٨ ١١٨ ١١٨ ١١٨	الطويل	طفيل الغنوي	جزى الله عنا أبا جعفرا حين أزلفت بنا نعلنا في الواطئين فزلت أبو أن يملونا و لو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت هم أنزلونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت و أظلت هم خلطونا بالنفوس و ألجؤا إلى حجرات أدفأت و أظلت
٦٦ ٥ ٥	المجتث الطويل	مجهول ذو الرمة	(ح) أعدد لحسادك حد السلاح و أورد الآمال ورد السماح إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب كية يبرح
١١١ ١٠٨ ١٠٨ ١٠٣	المتقارب الكامل مجزوء	شوقي مجهول عمرو بن	(د) سنون تعاد و دهر بعيد لعمرك ما في الليالي جديد قالت سمية قد غويت بأن رأيت حقا تناوب مالنا و وفودا غي لعمرك لا أزال أعوده مادام مال عندنا موجودا و علمت أني يــــوم ذا لك منازل كعبا و نهــــدا

١٠٣	الكامل	معدى كرب	د تنمروا حلقا و قدا	قوم إذا لبسوا الحديد
١٢٣	الكامل	البحثري	كرما و لم تهدم مآثر خالد	لو شئت لم تفسد سماعة حاتم
١٠٤	الطويل	أسيد العنقاء	إلى ماله حالي أسر كما جهر	رآني على ما بي عميلة فاشتكى
١٠٤	الطويل	الفزازي	له سيمياء لا تشق على البصر	غلام رماه الله بالخير مقبلا
٢٠	الطويل	ابن مقبل	لها قائلأ بعدى أحب و أشعرا	إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى
٢٠			حزون جبال الشعر حتى تيسرا	و أكثر بيتا سائرا ضربت له
٢٠			كما تمسح الأيدي الأغر المشهرا	أغر غريبا يمسح الناس وجهه
١٠٦	الطويل	أبو جزالة	و لا عرف إلا قد تولى و أدبرا	ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى
١٠٦			تجود بمعروف و تنكر منكرا	فتى حنظلي ما تزال ركابه
١٢٥	الطويل	الجوهري	فلو شئت أن أبكي بكيث تفكرا	فلم يبق مني الشوق غير تفكري
١٠٥	الطويل	موسى بن جابر	ذراعي و ألقى بأسته من أفاخر	إذا ذكر ابن العنبرية لم تضق
١٠٥			من الثقل ما لا تستطيع الأباغر	هلا لان حمالان في كل شتوة
٦٩	الطويل	أبي صخر الهزلي	كما انتفض العصفور بلله القطر	و إني لتعروني لذكراك هزة
٦٥	المتقارب	امروء القيس	حذفه الصانع المقتدر	لها جبهة كسرة المجن
١٢٤	الطويل	إسحاق بن حسان	(ع)	و لو شئت أن أبكي دما لبكيت
١٠٧	الطويل	الأقيشر	و ليس إلى داعي الندى بسريع	سريع إلى العم يلطم وجهه
١٠٧		الأسدي	و ليس لما في بيته بمضيع	حريص على الدنيا مضيع لدينه
١١٧	الخفيف	البحثري	أن يرى مبصر و يسمع واع	شجو حساده و غيظ عداه
٦٨	المتقارب	لم نقف على صاحبه	(ف)	ناداهم ألا أجموا ألاتا
١٢١	الطويل	البحثري	قالوا جميعا كلهم ألاف	إذا بعدت أبلت و إذا قربت شفت
٨٢	السريع	لم نقف على صاحبه	(ك)	يا أيها المانح دلوي دونكا
			إني رأيت الناس يحمدونكا	
١٢٦	الخفيف	البحثري	(ل)	قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ
١٢٧	الوافر		دد و المجد و المكارم مثلا	و لم أمدح لأرضيه بشعري
			لئima أن يكون أصاب مالا	

١٠١	البسيط	عمر بن أبي ربيعة	دار لمروة إذ أهلي وأهلهم بالكانسية ترعى اللهو والغزلا
١٠٢	البسيط	عمر بن أبي ربيعة	اعتاد قلبك من ليلي عوائده و هاج أهواءك المكنونة الطلل
١٠٢			ربع قواء أذاع المعصرات فيه و كل حيران سار مأوه خضل
٨٨	الخفيف	مجهول	قال لي كيف أنت ؟ قلت عليل سهر دائم و حزن طويل
١٠٩	الطويل	عبد الله بن الزبير	عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اعتراض الشواغل
١٠٩			فدب دبیب البغل يألّم ظهره و قال تعلم أنني غير فاعل
١٠٩			تثاءب حتى قلت: داسع نفسه و أخرج أنيابا له كالمعاول
٨٠	الطويل	امروء القيس	و ليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
(الميم)			
٠٣	الطويل	النابعة	لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي و أسيافنا يقطرن من نجدة دما
٩٤	الطويل	المتنبى	أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم و أتيناها على الهرم
١٢٩	الطويل	البحري	و كم ذدت عني من تحامل حادث و سورة أيام حزنن إلي العظم
١٢٥	البسيط	عبد الله بن شبرمة بن طفيل	لو شئت لكنت ككرز في عبادته أو كابن طارق حول البيت و الحرم
٦٨	البسيط	مجهول	قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيرا معدما؟ قالت وإن
(الهاء)			
١١٠	الطويل	زينب بنت الطثرية	أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري مقبما و قد غالت يزيد غوائله
١١٠			فتى قد قد السيف لا متضائل و لا راهل لباته و بآدله
١١٠			فتى لا ترى قد القميص بخصره و لكنها توهي القميص كواهل
١١٠			فتى ليس لابن العم كالذئب أن رأى بصاحبه يوما دما فهو آكله
١١٠			يسرك مظلوما و يرضيك ظالما و كل الذي حملته فهو حامله
١٠٦	البسيط	جميل بن معمر	و هل بثينة يا للناس قاضيتي دين و فاعلة خيرا فأجزئها
١٠٧			هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ري العظام بلين العيش غاذيها
٥١	البسيط	الجرجاني	و قد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه
٦٦	الخفيف	مجهول	فتنتني فجننتني تجني بتجن يفتن غب تجني
١٩	الوافر	مجهول	و ذاك له العنقاء صارت مرببة و شب ابن الخصي

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ
المدخل:	٠١
الإرهاصات والملاحظات البلاغية قبل عبد القاهر الجرجاني:	٠٣
- العصر الجاهلي	٠٣
- العصر الإسلامي الأول	٠٤
- العصر الأموي	٠٤
- العصر العباسي	٠٦
- المعتزلة	٠٧
- الجاحظ	٠٨
- الخطابي	١٠
- الرماني	١١
- الباقلاني	١١
- القاضي عبد الجبار	١٢
الفصل الأول: وقفة مع الدلائل	١٥
- المبحث الأول: التعريف بالكتاب و طبعه	١٦
- المبحث الثاني: دوافع تأليفه	٢٣
الإعجاز: أسباب ظهوره	٢٣
مراحل تاريخ الإعجاز	٢٤
- المبحث الثالث: أهم ما جاء في "دلائل الإعجاز"	٣٠
- المبحث الرابع: تأثير نظرية النظم على آرائه النحوية	٤٢
- المبحث الخامس: أثر كتاب الدلائل في الدرس البلاغي	٤٨
أ – أثره في المتأخرين	٥٠
ب – أثره في المحدثين	٥٦
الفصل الثاني: ظاهرة الحذف في العربية	٦١

٦٢	- تمهيد
٦٢	- المبحث الأول: الحذف لغة و اصطلاحا
٦٧	- المبحث الثاني: أسباب الحذف
٧٢	- المبحث الثالث: شروط الحذف
٧٧	- المبحث الرابع: فوائد الحذف البلاغية
٨١	- المبحث الخامس: أقسام الحذف
٨٩	الفصل الثالث: الحذف لدى عبد القاهر الجرجاني
٩٠	- تمهيد
٩٠	- المبحث الأول: الحذف وجه من أوجه النظم
٩٤	- المبحث الثاني: حذف المبتدأ و أسرار البلاغية
١٠٤	- المبحث الثالث: حذف المفعول و أعراضه النفسية
١٠٦	- المبحث الرابع: أقسام حذف المفعول به
١٠٦	- حذف غير مقصود
١٠٩	- حذف مقصود: جلي
١٠٩	- خفي
١١٠	- إخفاء مفعول مقصود
١١٥	- الإضمار على شريط التفسير
١١٦	- حذف مفعول المشيئة
١٢٥	الخاتمة
١٢٩	الفهارس العامة
١٣٠	- فهرس الآيات القرآنية
١٣٥	- فهرس الأبيات الشعرية
١٣٨	- فهرس المصادر و المراجع و الدوريات و الرسائل الجامعية
١٤٥	- فهرس الموضوعات (الفهرس العام)